# أولادنا

## بين التعليم والتعلم

"مجموعة أحاديث"




الدكتور عبد العزيز القوصي

أستاذ علم النفس



ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

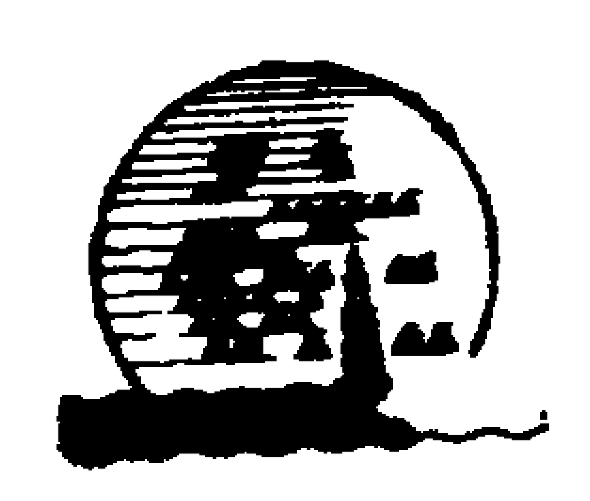
لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة




تأليف

الدكتور عبد العزيز القوصي
أستاذ علم النفس







ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

الطبعـة الأولى
١٩٨٥

# محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تقديم ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| الحـــديث الأول : تربية الصغار فن وتعليمهم فن ... ... ... | ٧ |
| الحـــديث الثانى : التربية والتعليم بين النظر والعمل ... ... | ١٣ |
| الحـــديث الثالث : التربية والتعليم بين المعلم والمتعلم ... ... | ١٩ |
| الحـــديث الرابع : التعليم والتغير ... ... ... ... ... ... ... ... | ٢٥ |
| الحـــديث الخامس : التعليم وتحـديات التغير ... ... ... ... ... | ٣١ |
| الحـــديث السادس : التربية وتحديات المستقبل ... ... ... ... | ٣٧ |
| الحـــديث السابع : تغيرات هامة وتربية النشىء ... ... ... ... | ٤٣ |
| الحـــديث الثامن : الحاجة الى تعلم مستمر وتربية توقعيه ... | ٤٩ |
| الحـــديث التاسع : مفهوم التعلم المستمر ومفهوم المجتمع ... المعلم المتعلم ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥٥ |
| الحـديث العاشـر : سمات المجتمع المعلم المتعلم ... ... ... ... | ٦١ |
| الحديث الحادى عشر : المجتمع المعلم المتعلم قديما وحديثا ... ... | ٦٧ |
| الحديث الثانى عشر : فى سيكلوجية التحدث والاستماع ... ... ... | ٧٣ |
| الحديث الثالث عشر : معنى الروح المعنـوية ... ... ... ... ... ... ... | ٧٩ |
| الحـديث الرابع عشر : التربية والتعليم كما عبر عنهما ... ... ... الرسول الكـريم ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٨٥ |
| الحديث الخامس عشر : النمو النفسى والتعلم ... ... ... ... ... ... ... | ٩١ |
| الحديث السادس عشر : مشـكلة أطفال ما قبل سن السادسة ... ... فى الوطن العربى ... ... ... ... ... ... ... ... | ١١٣ |
| الحـديث السابع عشر : حول أهداف التعـليم ... ... ... ... ... ... ... | ١٣١ |
| خـاتمـــة : ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٥٩ |

# الحديث الثانى

## التربية والتعليم .. بين النظر والعمل

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

هذه مجموعة أحاديث كنت قد القيت بعضها فى برنامج السهرة فى الاذاعة المصرية ووجدت من المستمعين استحسانا رغم أنها تناولت موضوعات جديدة مثل التربية التوقعية والتربية التعاونية والتشاركية ومثل كون أن الهدف من التعليم الحديث أن أعلم الناشىء كيف يعلم نفسه وبذلك أربيه تربية استقلالية وكون أن الهدف من التعليم ليس حشو الذهن بالمعلومات وانما أن أعلمه كيف يسعى لحل المشكلات وكيف يتعلم أثناء سعيه هذا •

ولعل عنوان هذا الكتاب فى حاجة الى بعض التفسير فهو يضع حدا فاصلا بين التعليم والتعلم فالتعليم هو ما يقوم به المعلم وأما التعلم فهو ما يقوم به المتعلم فيقول المعلم علمت فلانا تعليما ويقول المتعلم لقد تعلمت تعلما • وواضح أنه من الجائز أن يعلم المعلم تلميذا غير أن التلميذ لا يتعلم أو يتعلم غير ما يعلمه اياه المعلم ومن الجائز أن يتعلم الفرد دون أن يعلمه معلم •

ويا حبذا لو وصلنا الى أن نعلم التلميذ كيف يعلم نفسه وبذلك نكسب التعلم متعة ليس بعدها متعة وبذلك أيضا نوفر كثيرا من الجهد والمال ونضمن أن نجعل فى بنيه الانسان « أداة » لتجديد الذات وشحذها لمواجهة تحديات العصر وأن نصل الى تحقيق فكرة التربية المستمرة وهى الفكرة التى نادى بها الرسول الكريم فى طلب العلم من المهد الى اللحد •

وأرجو ان يجد الآباء والمعلمون فى هذا العرض خطوطا جـــديدة نافعة فى ميادين التربية والتعليم وأن يجدوها واضحة ميسره كذلك ارجو أن يجد فيها المختصون على بساطتها ميادين جديدة للنقد والبحث والتوليد والتجديد ..

والله ولى التوفيق ..

**عبد العزيز القوصى**

مايو ١٩٨٥

# الحديث الأول

## تربية الصغار فن .. وتعليمهم فن

# تربية الصغار فن وتعليمهم فن

نقصد بتربية الصغار تربيتهم وتعليمهم ومعروف أن التربية أهم من التعليم وأن التعليم نمط أو نوع من أنواع التربية وللتربية أشكالها الكثيرة ، وكذلك التعليم له صيغ متعددة ٠

وحين نتحدث عن التربية والتعليم فاننا نتعرض لما يجرى أحيانا بين الصغار والكبار أو ما يجرى بين الصغار بعضهم وبعضهم الآخر وما يجرى بين الآباء والأمهات من جانب وما يجرى بين الأطفال من جانب آخر : كذلك يحدث أن يربى الانسان نفسه ويأخذها بالترويض والتدريب ومن أشق الأمور على النفس ترويض النفس وتدريبها فاذا أراد شخص أن يدرب نفسه على التوقف عن التدخين أو على الصوم أو على الاقدام على عمل معين فانه لابد أن يبذل جهدا خاصا للاقدام والمقاومة ٠ ويكون القرار حاسما والجهد واضحا ٠

وقد درجنا من زمن على تعظيم العمليات التربوية والتعليمية وعلى اجلال المعلم وحث المتعلم على الاصغاء والطاعة وعلى الاذعان والاستسلام والمسايرة وعلى التسليم بما يتلقاه الصغير من الكبير دون مجادلة أو مناقشة ودرجنا كذلك على ضرورة أن يأخذ المعلم المتعلم بالرفق والهواده وأن يأخذه كذلك بشىء من الضبط والحزم على أن يكون موقف المعلم وسطا فهو عطف لاضعف فيه وحزم لا عنف فيه وأن يكون موقفه من التلميذ أميل الى التشجيع منه الى التثبيط وأميل الى مراعاة قدرات التلميذ على التمثيل والاستيعاب منه الى الارهاق ٠ وهذا الذى قيل عن المعلم والمتعلم قيل عن الآباء والأمهات من جانب والأطفال من جانب آخر ٠

ونلاحظ أن موضوعات التربية والتعليم يتكلم فيها عادة كل انسان ويصل ببعضهم الأمر أن يتكلموا فيها بكل ثقة وبكل جراة وبكل اقتناع . ولكن ما الذى يمنع من هذا ؟ هل تحتاج تربية الانسان الى دراسة علمية متخصصة تنبثق عنها أساليب خاصة وتبنى فنون ومهارات ؟ نحن نلاحظ ان تربية النبات فن يتخصص فيه العاملون فى هذا الميدان ويحتاج هذا الفن الى خبرة والى معرفة ونلاحظ ان غير المتخصص يجهل فنون تربية النبات بل يعرف فى الغالب أنه يجهل هذا المجال . أما تربية الانسان فاننا نلاحظ أن كثيرين من الناس يدلون بآرائهم فيها بثقة تامة ويعتبرون أن لديهم الخبرة والمعرفة وأحيانا يضعون أصابعهم فى آذانهم حتى لا يستمعوا للمختصين ويحدث أحيانا أن يعتبر الشخص نفسه صاحب خبرة واقعية ويعتبر المختص صاحب معرفة نظرية أكاديمية . وما قيــل عن تربية النبات يقال عن تربية بعض أنواع الحيوان فهناك المختصون فى تربية بعض أنواع الحيوان وعندهم من المعرفة المتخصصة والمهارة النادرة ما لا يوجد عند غيرهم .

ولكن ما السبب فى جراة بعض الناس وفى كل الثقة الموجودة عندهم فى شئون التربية والتعليم ؟ السبب فى ذلك أن كل واحد تعرض فى حياته لعمليات التربية والتعليم أما مؤثرا واما متأثرا فالوالد يعــلم ولده الكلام ويعلمه أنواع السلوك المقبولة والأم تعلم ولدها المشى وتعلمه كيف يأكل بمفرده وكيف يلبس ملابسه دون مســاعدة والأخ الأكبر يعلم أخاه الأصغر كيف يعبر طريقا فيه احتمال المخاطر . كذلك الصــــانع الكبير يعلم الصانع الناشىء وخطيب المسجد يعلم الناس مبادىء الدين وأسسه ويعلمهم أمور الصلاة والصوم والحج والمعاملة الانسانية الطيبة والحق والواجب والخلق الكريم وفعل الخير .. والحكومة تعلم الناس عن طريق الراديو والتليفزيون وبقية وسائل الاعلام .. والصحفى يعلم

الناس عن طريق ضحكه ونجلاته .. ونجــد مدرب الحيوان يعلم القرد ويعلم الفيل ويتعلم الكلب ويتعلم القط ويعرض النتائج الباهرة لجهوده هــذه على الناس بحثا عن الكــسب والشهرة ويقــال أن الحيــوان يعلم صغاره فى كثير من الاحيان فبعض الطير يعلم صغاره الطيران والقطة تعلم أولادها فنون الصيد .. من هذا نرى أن كل أنسان يتعرض للتعليم وللتعلم ويقول الكبير هكذا تعلمنا وهكذا نجحنا ولذا نجـد أن الموضوع لا يكاد يعرض حتى يتكلم فيه الناس جميعا وحتى يشعروا على الاقـل بحقهم فى الكلام فيه وبمقدرتهم على ذلك فهذا يقول أن ابنه لا يتعلم الا بالضرب وذاك يقول عكس ذلك وهذا يقول ان الحفظ هو طريق التعلم وذاك يقول ان طريق التعلم هو الفهم والادراك وليس مجـــرد الحفـظ وثالث يقول ان طريق التعلم هو الممارسة والخبرة العملية ورابع يقول انه القدوة والمثال عن طريق التقليد وهناك من يقول ان التعلم لا يكـون الا فى المدرسة ومن يقول ان التعلم فى الحياة العملية هو التعلم ولا تعلم غيره. كذلك يتصور بعض الناس ان اولادهم يتعلمون الالفاظ السيئه من رفاق الشارع أو من بعض رفاق المدرسة او من بعض ما يفلت فى بعض وســائل الاعلام .

ومع ذلك فان هذا الذى يتكلم عن التربيه والتعليم بكل هذه الثقه يصعب عليه أن يعرف بالدقه كيف يتعلم الطفل المشى او يعرف كيف يتعلم الطفل العربى لغته العربيه والطفل الانجليزى لغته الانجليزيه ويصعب عليه ان يعرف بالدقه كيف يتعلم الفرد السباحه او الجـــرى أو الرقص أو ركوب الخيل او البيع والشـــراء او الخطابه او الكتابه او غير ذلك وحتى اذا عرف الشخص كيف يصف بالدقة حركات اليدين عند الطفـل من أول حياته حتى يصل الى أعلى درجات الدقة فى الكتابة فانه لا يعرف كيف يفسران هناك من يكتب سورة من سور القرآن الكريم على بيضــه دجاجه وهناك من يكتب على حبه الارز صورة صغيره وهناك من يكتب القرآن كله فى صفحة طولها متر وعرضها نصف متر أو أقل من ذلك.

اذا عرف الانسان كيف يصف هذا وهذا أمر عزيز فانه لا يعرف كيف يصف ما يجرى بداخل الانسان وفي تكوينه من تغيرات فسيولوجيه حتى ينتقل الطفل من مرحله الشخبطه على الورق الى مرحلة الكتابه الدقيقه أو الى مرحلة اجراء عملية جراحية بالغة الدقة فى أعصـــــاب العين او الاذن او المخ .

هناك عملية التربية والتعليم وهناك الأسس العلمية التى تقـــوم عليها . هناك التعليم بالممارسة وهناك التعليم بالمشاهدة وهناك التعليم بالتقليد وهناك التعليم بالاستنتاج وهناك الضرب والتشجيع والثواب والعقاب . هناك ما لا يسهل حصره من طرق ولكل طريقة فاعليتها هـذه تنجح وتلك لا تنجح وهذه تنجح بشروط ولا تنجح بشروط أخرى .

ولذلك كانت عمليات التربية والتعليم خاضـعة عند بعض الناس للفحص العلمى والدراسة العلمية وعند بعضهم الآخر قائمة على مجرد الممارسة والخبرة دون أسس علمية .

**وللحديث بقية**

# التربية والتعليم بين النظر والعمل

ذكرنا فى الحديث السابق ان التربية لها أسسها العلمية وأساليبها الفنية وأن التعليم وهو يدخل تحت التربية له كذلك أسسه العلمية وأساليبه الفنية وكل من التربية والتعليم شأنه شأن اى علم آخر ما نعلمه عنه أقل بكثير مما لا نعلمه فاغلبنا كل ما يعرفه أن التعليم بالممارسة العملية أبقى أثرا من التعليم النظرى بالاستماع أو بالمطالعة ونعرف أن التعليم بالقدوة العملية أبقى أثرا من التعليم التلقينى وهذا قليل من كثير فى عمليات التعلم ٠

لنأخذ التعليم بالممارسة ولنأخذ مثال السباحة فيمكننا أن نقرأ كتابا عن مبادىء السباحة وعن السباحة فى المياة العذبة والسباحة فى مياه البحر ويمكننا أن نقرأ عن السباحة فى المياه قريبة الغور والسباحة فى المياه بعيدة الغور ويمكننا أن نقرأ عن حركات الذراعين وحركات الرجلين فى السباحة يمكننا أن نقرأ كل هذا ويمكننا أن نحفظه ويمكننا أن نؤدى فيه امتحانا تحريريا أو شفويا بنجاح كامل ولكنه هذا لا يعنى أننا نعرف السباحة فلكى نعرف السباحة لابد أن نمارس ولابد ان نجرب وأن نختبر ولا نكسب ثقة كاملة فى أنفسنا الا اذا مارسنا وأذا نجحنا ٠ والممارسة نوعان فهناك نوع يكون عن طريق المحاولة والمجازفة والتجريب ويكون عن طريق ارتكاب الاخطاء وتصحيحها وعن طريق الاقتراب التدريجى من النموذج الصحيح للسباحة وليس معنى هذا ان كل انسان يمكنه ان يصل الى النموذج الصحيح فبعض الناس يصل اليه وبعض الناس لا يصل فبعض الناس يسبحون ولكنهم يؤدون حركات زائدة ولا لزوم لها فالسباحة الجيدة درجات ويتوقف إتقان السباحة على الجمع بين المعرفة العلمية السليمة وبين الممارسة والخبرة العملية القائمة على أسس علمية ٠ والذى

يقال عن السباحة يقال عن الكتابة فالكتابة تنمو عن طريق المثال فالتلميذ أمامه نماذج من الكتابة فهناك نموذج من والده وآخر من والدته ونماذج من اخوته وأخواته ومدرسيه وهناك الأسس العلمية لتعليم الكتابة الجيدة الواضحة ولعل أهم هذه النماذج ما يقدمه الوالدان والمدرسون • وكان الاباء والمدرسون كما عهدناهم نحن فى حياتنا فى العشـرينات يكتبـون بخط جميل واضح يتمكن كل شخص من قراءته وكنا كذلك نعلم أصول الكتابة وكانت هناك كراسات لتعليم الخط وعرفنا فى ذلك الوقت أن الخط الجميل هو الذى تسهل قراءته • أما أن يقال ان هناك كتابة جميلة لدرجة أن أحدا لا يمكنه قراءتها فهذا ما لانقره ومالا نقبله وما لانرتضيه خاصة فى المدارس •

فلتعلم الكتابة أسس علمية ولابد من الممارسة والتجربة ولابد من التحكيم ومن نقد الذات ولابد عند الكتابة من مراعاة القارىء • وأعرف شخصا من أصدقائنا لا يمكن قراءة رسائله الا بصعوبة بالغة • هذا الصديق سويسرى الجنسية وهو أستاذ كبير ــ وعنـدما تصلنا منه رسالة نظـل نتقاذفها أنا وزوجتى فهى تلح على فى قراءتها وأنا أعتذر والح عليها فى قراءتها ونظل نتقاذفها بيننا ويخضع آخر الأمر واحـــد منا ليفك طلاسمها وهذا الذى يحدث فى بيتنا يحدث فى بيوت أصدقاء مشتركين آخرين التقينا معهم وعرفنا منهم أنهم يسلكون نفس المسلك برسائله •

بطبيعة الحال طغت الآلة الكاتبة وأصبح الكثيرون يرجعون اليها حتى يمكن قراءة ما يكتبون ولم يعد لدى الكثيرين ما يدعو الى ضرورة تحسين خطوطهم وهذه فى نظر البعض أحدى سلبيات المدنية الحديثة وفى نظر البعض أنها تختصر الوقت الضائع فى تجويد الكتابة اليدوية وفيها تيسير أكثر للقارىء لما يوجد فيها من تفنين والرأى عندنا أن الحاجة ما زالت ماسة لتجويد الكتابة اليدوية وانه يمكن الافادة من الآلة الكاتبة

مع عدم اهدار التجويد اليدوى الذى لا يمكن الانسان أن يستغنى عنه بصفة نهائية .

والمهم فى هذا أن الخط الجيد مهارة يتعلمها الانسان بالممارسة وبالقدوة وباستخدام الاسس العلمية والفنية بعد دراستها وبعد ربطهـــا بالممارســة .

ومازال لدينا الكثير مما يقال فى العلاقة بين النظر والعمل لنأخذ مثال الشجاعة والخوف وكيف يمكن غرس الشجاعة واقتلاع الخوف . لنفرض أن أما تسير فى الطريق العام ومعها طفلها فى سن الخامســـة أو السادسة ولنفرض أن الطفل يسير الى جانب أمه ممسكا بيدها وأنهما شاهدا كلبا يقترب منهما . فقد يحدث أن تقول الأم لابنها « لا تخف » ولكن يدها ترتعش وهى ممسكة بيده . فى هذه الحالة نجد أن الكلمات « لا تخف » تكون عديمة الأثر ونجد ان المؤثر الحقيقى هـــو ما ينتقل من الأم الى الابن عن طريق اليد المرتعش ريدرك بعض الأطفال مايوجد من تناقض بين القول والسلوك وبالنسبة للطفل يكون الســلوك أصـدق تعبيرا من القول وذلك بسبب تلقائيته وعفويته . وتضعنا هذه أمــــام قاعدة تربوية هامة وهى أن القدوة الصادقة المصحوبة بالقول المطابق لها هى أساس للتربية السلوكية فاذا طلبنا من الطفل أن يكون مرتبـــا أو نظيفا فلابد أن نبدأ بأنفسنا واذا قلنا له أن التدخين عادة سيئة فلابد أن نكون ممن لا يدخنون واذا طلبنا من الطفل الا يستخدم عبارات بذيئة فلا بد أن تكون العبارات البذئية بعيدة تماما عن جو البيت واذا وجهنا الطفل الى الا يضرب أخاه فيجب أن نمتنع نحن كذلك عن هذا الأسلوب السيىء .

يدعى بعض الآباء أحيانا أن الأطفال ينقلون من المدرسة أو من الشارع بعض الاقوال أو الأعمال السيئة وهذا صحيح . وعندما ينقلونهـــا

يجربونها فى جو البيت فاذا وجدت قبولا فانها تثبت واذا لم تجد قبولا فانها تختفى مرة واحدة أو بالتدريج فاذا سمع الطفل شتائم من زملاء اللعب فانه ينقلها الى البيت ويجربها ثم يبقيها أن قبلت ويهجرها ان لم تقبل فالمرجع عادة هو البيت ونلاحظ أن بعض الآباء ينهون أبناءهم عن الشتائم ولكنهم لا ينتهون عنها وفى هذه الحالة لا يفيد النهى ، كذلك يحدث عند مشاهدة المسلسلات والبرامج التليفزيونية أن يتعرض الطفل لنماذج سيئة ٠

وهنـــا يـكون على الآباء أن يتخيروا ما يشاهدونه وما يشاهده الأطفال ويكون على رقابة الدولة أن تمنع تلفزه مالا يجوز عرضه ٠

# الحديث الثالث

## التربية والتعليم بين المعلم والمتعلم

## التربية والتعليم بين المعلم والمتعلم

أوضحنا فى الأحاديث السابقة أن كلا من التربية والتعليم فن له أسسه العلمية وان ممارسة فنون التربية والتعليم بالاستناد الى الأسس العلمية هى التى تكفل لها النجاح والاثمار ونضيف اليوم ظاهرة جديدة تنشأ من عدم معرفتنا بالطريقة التى يتم بها التعلم . فنحن نجد أحيانا أن المعلم قد يعلم ولكن التلميذ قد لا يتعلم وان التلميذ قد يتعلم أحيانا دون أن يعلمه معلم ونجد أن المعلم قد يقصد الى شىء ولكن التلميذ يتعلم شيئا آخر ولهذا الذى أقوله أمثلة لا حصر لها فقد زرت مرة أحدى الأسر فى منزلها فاستقبلنى طفل فى الثامنة فجلست معه حتى يحضر الوالدان وسألته عن مدرسته ودراساته وعن ما يأخذ من المواد فقلت له هل تتعلم الدين ؟ فقال نعم فقلت ماذا تتعلم فى الدين ؟ فقال « الشهادتين » فسألته وما الشهادة الأولى فقال « أشهد ألا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله » ثم سألته وما الشهادة الثانية اذن ؟ فقال انها وصلت من المدرسة وهى تقول انى ناجح ومنقول الى السنة الثالثة. وكثيرون من المعلمين يعلمون الكثير من التلاميذ غير أن كل تلميذ يصل الى حصيلة خاصة به بغض النظر عن الوحدة فى جهد المدرس وفيما ينشده وقد اشتد التركيز فى الماضى وحتى اليوم على العملية التعليمية أى على الجهد الذى يبذله المدرس أو الجهد الذى يبذله المحاضر فالمدرس الجيد فى عرف الناس وفى تقديرهم هو الذى يحضر درسه تحضيرا جيدا ويهضمه ويتمثله ثم يرتبه ويقدمه للتلاميذ بطريقة واضحة سهلة ويحفظهم اياه حتى لا يبذل التلميذ فيه أى جهد بعد ذلك . هذا هو تعريف المدرس الجيد عند كثيرين من الناس حتى اليوم يحصل منه التلميذ القادر ما يحصله منه غير القادر فى نفس الزمن وبنفس الجهد

وبذلك يعمل القادر غالبا بأقل من مستواه وغير القادر بمستواه أو بأكثر قليـــلا •

وهاهى صورة المدرسة التقليدية : مدرسة تقوم على فصـــول وعلى تلامذة يجلسون كل فى مقعده لا يتحركون ولا يتكلمون ليس هناك علاقة متبادلة بينهم فكلهم يشخصون الى المدرس أو الى السبورة وعلى المدرس أن يعرض على سبورته كتابات ورسومات أو يلقى على مسامعهم كلاما وأن يستخدم أساليب الشرح والتبسيط حتى يستوعب التلاميذ الدرس ولا يقصد المدرس عادة باسساليب الشرح والتبسيط الا أن يصل التلميذ الى حفظ المادة وهنا ياتى التدريب الآلى النمطى المتكرر الممل لـــكل من التلميذ والمدرس • لا مانع طبعا من استخدام الوسائل المعينة وهى ضرورية أحيانا حتى يتمكن التلميذ من الفهم ومن التفكير أما أن يستخدم الوسائل المعينة لعمليات التحفيظ فهذا أمر يحتاج الى اعادة نظر جادة•

هكذا كانت المدرسة التقليدية ولا تزال بمدرسيها وفصولها وكان على التلميذ أن يتلقى ما يلقيه اليه المدرس فى الفصل أو يشهد ما يكتبه على السبورة وما يجـريه من تجارب اذا كانت هنـاك فرصة لاجـراء تجـــارب • ويغلب على الظن كذلك أن التغير المطـــلوب قد يقع وقد لا يقع وقد يقع صوابا رغم خطأ الطريقة أو خطأ رغم صواب الطريقة •

واذا حدث التغير المطلوب فالمطلوب فى الغالب هو حفظ بعـض المعلومات أو التدرب الآلى على بعض الأساليب بقصد حل المسائل أو بقصد تسميع مادة أو استرجاعها يوم الامتحان وهو يوم السباق الرهيب بين تلاميذ لا علاقة بين احدهم والآخر • ولهذا السباق الامتحـــانى فى التكوين السلوكى نتائجه السيئة المعروفة فالذى تعنى به المدرسة التقليدية عادة تكوين بعض العادات وحفظ بعض الحقائق أما التعاون بين التلاميذ مما يخلق روح الجماعة والروح التعـــاونية وروح مراعاة الغير فانه فى

المرتبة الثانية بالنسبة الى حفظ مجموعة من الحقائق الصماء . وعلى ذكر التعاون فان التلميذ قد يقرأ عنه فى كتاب المطالعة أو قد يحفظ عنه بعض فضائله ولكن لا يمارسه فى الفصل أو فى المدرسة واذا مارسه فى المدرسة فانه يمارسه فى أحسن الظروف فى فترات النشاط الاجتماعى الذى يتم ( اذا تم وقلما يتم ) على هامش اليوم المدرسى وهو عديم الاهمية فى نظر المدرسة وفى نظر البيت فى أغلب الأحوال .

كذلك الابداع والابتكار والتفكير الحر لا يتم تنشئته فى الفصل . يدخل فى ذلك التعبير المنطلق والتمثيليات والمشروعات والتفكير باستخدام اليد وترويض البدن . فكل هذه أمور هامشية ليس لها فى أغلب الأحوال قيمة تذكر فى المدرسة التقليدية فالمهم فى حياة التلميذ فى نظر المدرسة التقليدية وفى نظر البيت عادة أن يحفظ بعض الحقائق وان كانت صماء ويتدرب على بعض التدريبات الآلية البسيطة لحل بعض المسائل على قوالب مرسومة فى دروس اللانشاط ( فى الفصل ) . أما دروس النشاط فانها تكون خارج الجدول وعلى هامش الدراسة . فاذا سمينا دروس الألعاب والأشغال والموسيقى والتمثيل والزراعة دروس نشاط فلابد أن تكون دروس اللغة والجغرافيا والعلوم والرياضة دروس لانشاط . وهذا تناقض نعيشه ولابد لنا أن نخرج منه وقد نحتاج الى أن نعكس الأوضاع .

خذ كذلك الجوانب الوجدانية الخاصة بتذوق الجمال جمال الشكل وجمال اللون وجمال الصوت وما يرتبط بهذا كله من موسيقى وغناء وتمثيل وشعر وأدب وخطابة وفن وما يتصل بهذا من ابداع وابتكار وما يتيحه من علاقات اجتماعية طيبة . هذه كلها أمور لا تلقى ما يجب أن تلقاه من تشجيع فى مجالات التربية والتعليم . وبذلك يحرم الناشىء من تربية الذوق الرفيع والوجدان السامى مما يزيد من انسانية الانسان

هذه هي في العادة صورة المدرسة التقليدية مدرسة لا تهتم بتنمية التفكير وحسن التصرف ومواجهة التحديات وحمل المسئوليات وتحقيق الذات وحسن التعامل ومشاركة الغير وجداناتهم ومشاعرهم والتعاون رغم أن هذه كلها ترد بلغة جميلة فيما يصدر عن أهداف التعليم وفلسفته وانما تهتم المدرسة التقليدية بان يحفظ المتعلم بعض الحقائق الصماء ويتدرب على اجراء بعض العمليات البسيطة على قوالب مرسومة وهذه هى المسائل التى تحركها وتوجهها الامتحانات والشهادات وهى مقاييس النجاح والفشل فى عمليات نسميها تجاوزاً عمليات التربية والتعليم .

واضح أن الغرض من التعليم هو أن يتعلم التلميذ . التعليم هو ما يقوم به المعلم والتعلم هو الأثر الحادث فى التلميذ . واذا تذكرنا ما قلناه من ان المعلم قد يعلم ولكن التلميذ قد يتعلم وقد لا يتعلم أو أن التلميذ قد يتعلم دون أن يعلمه المعلم أو على الاقل دون أن يبذل المعلم كل الجهد الذى يبذله عادة فى عملية التعليم . اذا وازنا بين الامرين واذا أكدنا لأنفسنا أن الغاية هى التعلم وأن التعليم وسيلة لا غاية أمكننا أن نضع التعلم فى أولوية واضحة وأسبقية بارزة على التعليم . نحن لا ننادى بالغاء التعليم ولكن نؤكد أن الغاية والنهاية هى التعلم وأن التعليم لا يخرج عن كونه وسيلة أو وأسطة .

ومن الطبيعى أن نفكر فى أسلوب يجعلنا نصل الى أكثر تعلم ممكن مع أقل جهد تعليمى ممكن اى نصل الى ثمرة كبيرة مع انفاق قليل .

ومعنى هذا أننا نسعى لأن نزيد من جهد التلميذ ونغير من بعض طبيعته وأن نقلل من الجهد الحالى للمدرس ونغير من طبيعته طبيعة الجهد . وعلينا أن نذكر فى جهد التلميذ قوله تعالى « وأن ليس للانسان الا ما سعى » صدق الله العظيم .

# الحديث الرابع

# التعليم والتغيير

# التعليم والتغير

ذكرنا فى الأحاديث الماضية أن التربية والتعليم لهما أسسهما العلمية . وحتى مع الالمام بالأسس العلمية فهى فنون يتقنها بعض الناس أكثر مما يتقنها البعض الآخـــر . وذلك لأن خصائص الشخصية تتدخل فى المواقف التربوية والتعليمية فلا يتساوى العارفون فى سلاسة التقائهم مع الغير ولا يتساوون فى قدرتهم على الحوار أو قدرتهم على الاقناع أو على الاستماع ولذلك نرى الناس ينجحون فى العمليات التربوية والتعليمية بدرجات مختلفة رغم معرفتهم بالأسس العلمية .

وهناك عامل آخر يجعل عمليات التربية فى حاجة الى الدراسة والتعمق وهذا العامل هو ان العالم فى تغير مستمر وقد نصحتنا الحكمة العربية القديمة بألا نربى أولادنا على شاكلتنا فقد خلقوا لزمان غير زماننا وقد مضى على اطلاق هذه الحكمة أربعة عشر قرنا ولكن يبدو أن الانسان لا يدرك تغير الحياة مع الزمن ادراكا كافيا ذلك لأنه يعيش التغير بنفسه شأنه فى ذلك شأن راكب الطائرة فهو لا يدرك السرعة التى تطير بها تمام الادراك مادام هو جالسا مستقرا فى داخلها ونحن لا ندرك فى العـــادة ما يحدث فيمن نعيش معهم من تغير . لا ندركه فى أولادنا أو اخواتنا . كذلك تنصحنا التربيـــة أن نربى النشىء للمجتمع وعن طريق الاتصـــال بالمجتمع وعن طريقة المعيشة فيه وهنا نسأل أى مجتمع ؟ فاذا كنا نربيه فى مجتمعه الذى يعيش حاليا فيه فان مجتمعه هذا سيتغير ويصبح فى المستقبل مجتمعا آخر فأى مجتمع هذا الذى نعده من خلاله ؟ وأى مجتمع ذلك الذى نعده له ؟ هل نعده فى مجتمع اليوم ليعيش فى مجتمع الغد ؟ وهما كما قلنا مجتمعان يختلف أحدهما عن الآخر . وبهذه المناسبة حدث أن طلب منى أحد الزملاء وكان يعمل مع الشباب أن أتحدث اليهم عن

الشباب وسلوكياتهم ومشكلاتهم فاعتذرت رغم دراساتى المتخصصة السابقة للموضوع . اعتذرت لأن خبرتى الشخصية المباشرة تجعلنى أعرف شباب الأمس ولا أعرف بدرجة كافية شباب اليوم ذلك أن هؤلاء يختلفون عن زملائهم فى الماضى لاختلاف المجتمعات واختلاف الأزمنه واختلاف المشكلات . واختلاف العادات والاعراف واختلاف الأذواق بل واختلاف الطبائع .

وواقع الأمران التغيير موجود منذ الازل وهو موجود ما وجدت الحياة بل انه موجود لمجرد الحركة فالحركة تغير والحياة تغير والتغير من طبيعة الأشياء ومادام هناك تغير فهناك حيوية وهناك ماض وحاضر ومستقبل ومن أوليات سمات الزمن أن يكون له ماض وحاضر ومستقبل وان يكون هناك فى كل الموجودات تغير وسبحان من يغير ولا يتغير .

وللتغير موضوع أو مجال وله سرعة وله اتجاه فقد يتناول التغير أسعار المواد الغذائية وقد يتناول وفرتها وندرتها وقد يتناول النقص فى اطاقة المتاحة وقد يتناول القيم والاتجاهات وقد يتناول عدد الناس فنتحول من مجتمع الزحام الى مجتمع الوحشة أو من مجتمع التخلخل الى محتمع الزحام . وقد يتناول عادات الناس وتقاليدهم وتركيب مساكنهم وتفصيل ملابسهم وقد يتناول ما بين الناس من سلام ووئام وما بينهم من سياسة التعامل : وقد يتناول امورا اكثر تعقيدا وتركيبا وقد يتم التغير ببطء وقد يتم بسرعة وقد يكون فى اكثر من اتجاه أو فى اتجاه دون آخر .

والملاحظ اننا نحن أيضا نتغير فنحن ننمو بسرعة فى الطفولة الأولى وننمو ببطء فى الشباب وبعض اجزائنا ينمو بسرعة اكثر من تلك التى تنمو بها بعض أجزائنا الأخرى فقد تنمو بدنيا بسرعة أكبر من تلك التى تنمو بها عقليا أو خلقيا وقد تنمو الأطراف أو الاثداء أو الأرداف أكثر مما

ينمو الجذع أو الرأس وبعضنا ينمو أكثر وأسرع من بعضنا الآخر فى بعض الجوانب وقد يعترينا فى الشيخوخة والهرم توقف ظاهرى غير أن التغير يستمر والذى جد فى حياة الناس أنهم صاروا يشعرون أكثر من أى وقت مضى أن المجتمع يتغير من حولهم وأنه قد أصبح يتغير بسرعة وأن هذه السرعة متزايدة . كذلك نشعر أن العالم من حول مجتمعنا يتغير بسرعة وأن هذه السرعة متزايدة .

وازاء هذا التغير السريع المتسارع لابد من تكيف جديد ولابد من توافق جديد ولابد من تربية جديدة ولابد من تعليم جديد .

لابد من تكيف جديد لابد من توافق جديد عاداتنا القديمة لاتفيدنا اليوم كثيراً . انتقلنا من حياة قلة الناس الى حياة الكثرة ومن حيـــاة الوفرة فى الغذاء الى حياة الندرة ومن حياة الاتساع فى المســاكن الى حياة التحديد وأصبحنا فى حاجة الى تكيف جديد والى مهارات جديدة والى سلوكيات غير ما عهدناه من قبل .

والى متابعة للموضوع فى حديث قادم باذن الله

والسلام عليكم ورحمة الله

# الحديث الخامس

# التعليم وتحديات التغير

# التعليم وتحديات التغير

تكلمنا فى الحديث السابق عن كوننا نعد النشء لمجتمع يتغير واشرنا الى ان التغير سمة من سمات هذه الحياة وهذا الكون وكل ما فيه وقلنا ان التغير له أنماط مختلفة وصيغ متباينة فالنمو تغير والزيادة تغير والنقص تغير والتقدم تغير والتأخر تغير والنضج تغير والانهيار تغير والتطور تغير والثورة تغير فالتغير سنة الحياة وقد قال العميد انج أحد فلاسفة الانجليز أن آدم قال لحواء عند خروجهما من الجنة أنهما سيعيشان مرحلة انتقالية لها ما بعدها ونحن نسلم بان التغير موجود منذ الازل منذ خلق الله الكون ولكن التغير فى أول الخليقة كان بطيئا فلم يكن يشعر به الانسان ثم أصبح يتزايد بالتدريج وقد وصلت سرعة تزايده لدرجة أن الانسان أصبح يشعر بهذه السرعة المتزايدة وبما قد يترتب عليها من آثار بل يمكن القول أن الانسان أصبح يشعر بالتغير شعورا حادا سترتفع حدته مع توالى الأيام فى أغلب الأحوال . نلاحظ مثلا أن الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة تتسع وان هذا الاتساع يتم بسرعة وان هذه السرعة فى تزيد . ومن آيات الانجيل أن من عنده يعطى ويزاد ومن ليس عنده يؤخذ منه وقد قصدت الآية من عنده من الايمان ولكن يبدو أن الآية تصدق كذلك على ما نشاهده من فجوات تتسع بين دول الشمال ودول الجنوب أو بين دول العالم المتقدم ودول العالم الثالث .

كذلك نلاحظ أن المجتمع أصبح أكثر ازدحاما عن ذى قبل فنحن ننتقل من مجتمع التخلخل الى مجتمع الزحام من مجتمع قلة السكان الى مجتمع كثرة السكان من مجتمع وفرة المتاح من الغذاء الى مجتمع قلة المتاح من الغذاء من مجتمع الوفرة فى المتاح من الاسكان الى مجتمع ندرة الاسكان من مجتمع النقاء الى مجتمع التلوث .

ويمكننا أن ندرس بشىء من التفصيل مثالا من أمثلة التغير وهو مثال له أهميته وله خطره الكبير . هذا المثال هو موضوع سكان هذا الكوكب . سكان الارض فقد كان سكان العالم ( تقديرا ) عند ميلاد السيد المسيح ٢٥٠ مليونا ثم أصبح الضعف فى ١٦٠٠ عاما أى صار ٥٠٠ مليونا ثم أصبح الضعف مرة أخرى فى ٢٠٠ عام فأصبح ١٠٠٠ مليون وأصبح الضعف مرة ثالثة فى ١٢٠ عاما فأصبح ٢٠٠٠ مليونا وينتظر أن يصبح العدد ٧٠٠٠ مليونا فى عام ٢٠٠٠ وأن يصبح ١٨٠٠٠ مليونا فى عام ٢٠٤٠ واذا سارت الامور على ماهى عليه الآن وهذا غير ممكن ـ فان كل متر مربع من اليابسة بصحاريها ووديانها وجبالها وأدغالها سيشغله ٨ أشخاص فى عام ٢٢٢٥ . هذا ما يقدمه التنبؤ الحسابى ولكن يعز على التنبؤ العقلى أن يتقبله دون مقاومة ويلاحظ انه من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٨ أى فى ٨ سنوات زاد سكان العالم بمقدار ما كان فيه من سكان فى أول القرن السابع عشر وفى اللحظة الحاضرة يزيد السكان فى العالم بمقدار ٨٢ مليونا فى العام .

كذلك نعلم أن سكان العالم العربى كانوا ٨٠ مليونا فى عام ١٩٥٠ أى من ٣٣ عاما . وأصبحوا ١٦٠ مليونا فى عام ١٩٨٠ و ١٧٥ مليونا فى عام ١٩٨٣ وينتظر أن يصيروا ٣٠٠ مليونا فى عام ٢٠٠٠ وأن يصبحوا ٦٠٠ مليونا قبل عام ٢٠٣٠ أى قبل مرور ٥٠ عاما من الآن فهل يتوقع المسئولون هذا وهل أعدوا العدة له .

كذلك كان السكان فى مصر فى عام ١٨٠٠ بحسب تقدير العالم الفرنسى جومار الذى كان يرافق الحملة الفرنسية ٢ر٥ مليون . وظل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى قام محمد على بثورته الزراعية وأنشأ القناطر الخيرية فأصبح العدد ٣ر٥ مليونا فى عام ١٨٣٦ ثم وصل عدد السكان الى عشرة ملايين فى عام ١٩٠٠ وبلغ ١٥ر٥ مليون فى عام ١٩٣٧ ثم بلغ ٤٢ مليونا

فى عام ١٩٨٠ ونحن نزيد على ٤٦ مليونا فى الوقت الحاضر وينتظر أن نصير ٧٠ مليونا وأكثر قليلا فى عام ٢٠٠٠ ولنبرهن على تزايد سرعة الزيادة نلاحظ أن الزيادة من ١٨٠٠ حتى ١٩٠٠ كانت أربعة أمثال ٠ أما الزيادة من عام ١٩٠٠ حتى عام ٢٠٠٠ فانها سبعة أمثال ٠ والمتتبع لمعـدلات الزيادة يجد أنهـا كانت ٦ر١٪ فى العـام ثم أصبحت ٢٪ فى الاربعينات وهى فى الوقت الحاضر ٨ر٢٪ ٠ هذه الزيادة المتزايدة لهـا تاثيرها على نقص المتاح للفرد فى التغذية وفى الاسكان وفى الخدمات الصحية وفى خدمات التعليم ٠ معنى هذا أن هناك تحديا سافرا للفرد وللمجتمع وعلينا أن نعد أنفسنا له وأن نعد النشىء الصاعد لمواجهته ٠

هل أعددنا المدارس الكافية وهل أعددنا المستشفيات الكافية وهل زادت موارد الغذاء وموارد الكساء وموارد الاسكان وهل أعـددنا أنفسنا لتشريعات جديدة ولعادات جديدة ولقيم جديدة ولأساليب جديدة ولمهارات جديدة ٠ سنواجه بعد بضع سنوات مجتمع السبعين مليونا بعد أن كنا نتعامل فى مجتمع به بضعة ملايين ٠ سنواجه مجتمعا فيه تعاملات جديدة وسياسات جديدة والوان جديدة من الحرب والسلام ولابد من أن نعـد أنفسنا اعدادا جديدا لهذه التحديات الجديدة ٠

والله المـوفق ٠

والسلام عليكم ورحمة الله

# الحديث السادس
# التربية وتحديات المستقبل

# التربية وتحديات المستقبل

تحدثنا فى المـرة السابقة عن بعض ما يحـدث فى مجـال التغير وضربنا مثلا بالتغير السكانى وبينا أن سكان هذا الكوكب وسكان بلدنا بنوع خاص فى زيادة متزايدة مطرده ونحن نلاحظ أن شابا وشابة يتزوجان ونجدهما فى ٢٠ أو ٢٥ عاما قد أنجبا أربعة أو خمسة ونجد أن هؤلاء الاربعة يكبرون ويتزوجون وينجبون ولا يكاد يمر نصف قرن حتى نجد للشـاب والشـابة اللذين أشرنا اليهما أولا عندهما أولاد وبنات وأحفاد وحفيدات متزوجون ومتزوجات • ونلاحظ فى الريف أنهم يتزوجون فى سن مبكرة ولذلك فان معدلات الانجاب تكون أكثر تسارعا •• فالفترة الزمنية للتكاثر تقصر وبذلك يتكرر الانجاب ويتزايد الناس •

وتذكرنا هذه الزيادة المطردة وما يحدث عنها من مفاجآت بما يحكى انه حدث حين أهدى شاب ذكى رقعة شطرنج جميلة الى ملك فارس فسر الملك منه وقال له « لك أن تطلب منى ما تشاء فى هذه المناسبة » فطلب الشاب من الملك أن يعطيه حبة أرز واحدة عن المربع الأول من مربعات الشطرنج ثم يزيدها الى حبتين فى المربع الثانى ثم يضاعفهما فى المربع الثالث ويضاعف الحبات الأربع فى الرابع ويضاعف الثمانية فى الخامس وهكذا حتى يصل الى المربع الرابع والستين حيث يكون عدد الحبات (٢)٦٣ فما كان من الملك الا أن استخف بالامر واستجاب للشاب فعند المربع العاشر كان عدد الحبات ٥١٢ وعند المربع الخامس عشر كان العدد ١٦٣٨٤ وعند المربع العشرين ٥٢٤٢٨٨ وفى المربع الحادى والعشرين اكثر من مليون حبة وما كاد يصل الأمر الى المربع الاربعين حتى زاد العدد عن المليون حبه واصبح عدد الحبات فى المربع الرابع والستين (٢)٦٣ حبة وهو عدد ضخم يستنفذ مخازن الملك مرات ومرات •

هذا نوع الزيادة التى تسمى فى العلوم الرياضية بالزيادة الاسية وهى الطريقة التى يتزايد بها السكان وتذكرنا الزيادة الآسية هذه بلغز فرنسى يعطى عادة للاطفال مؤداه أن رجلا كان عنده فى حديقة بيته بحيرة وقد ظهر فى البحيرة نوع من العشب أخذ يتكاثر بحيث يصير فى كل يوم ضعف ما كان عليه فى اليوم السابق فاذا ترك العشب دون اقتلاع او مقاومة فانه سيسد البحيرة تماما ويغطيها جميعها ويقضى على كل الوان الحياة الأخرى بها فى ثلاثين يوما فاذا كان الرجل يرى العشب قليلا ولا يعبأ به ولا يفكر الا حين يمتلىء نصف البحيرة وحينئذ يهتم بانقاذها ففى أى يوم يكون هذا ؟ واضح أنه يكون فى التاسع والعشرين حين لا يتبقى أمامه سوى يوم واحد ينقذ فيه بحيرته من الانسداد التام ٠ وهذه مفاجأة غير سارة ٠

يقرب هذان المثالان للذهن كيف أن بلدا كمصر كان سكانه ٥ر٢ مليونا فى عام ١٨٠٠ يصبح ١٠ مليونا فى عام ١٩٠٠ ويصبح ٤٢ مليونا فى عام ١٩٨٠ ويصبح ٤٦ مليونا فى عام ١٩٨٣ ويمكن أن يزيد عن سبعين مليون فى عام ٢٠٠٠ ومعروف أن الأراضى الزراعية لا تزيد مساحتها كثيرا فبعد أن كان كل شخص يتغذى من انتاج فدانين من الأرض اصبح الشخص يتغذى من انتاج مالا يزيد عن ثمن فدان من الأرض ٠ أى ان الغذاء المتاح اصبح $\frac{1}{20}$ مما كان متاحا منذ قرنين من الزمان ٠ أن الغذاء المتاح أصبح٢٠/١ مما كان متاحا منذ قرنين من الزمان ٠ وهنا نفهم كيف أن الموارد التى كانت تكفى للسكان وتزيد فى وقت ما أصبحت لا تكفى وكيف انه اصبح من الصعب توفير المدارس لجميع من هم فى سن التعليم وأصبح من الصعب كذلك توفير الخدمة الطبية لكل من يحتاجونها وأصبح الانتقال من مكان آلى مكان يحتاج الى وسائل غير متوفرة للجميع وازدحمت المدن بالمساكن وارتفعت تكاليف الحياة الى المطلوب اكثر بكثير من المتاح ٠

ونعلم أن القاهرة بنيت منذ أكثر من الف عام وقد أصبحت الآن ضيقة بأهلها وأصبحت المساكن مكتظة واصبحت هناك حاجة الى مضاعفة وسائل النقل فهناك الكبارى العلوية وهناك الانفاق السفلية . وهذه كلها غــير كافية ووســائل الاتصال غــير كافية والخدمات التعليمية والصحية والحياتية غير كافية وارتفعت اثمان المواد الغذائية واثمان الملابس وثمن الأرض . ونعلم أن سكان القاهرة تضاعفوا فى الأربعة عشرة السنة الأخيرة. وقد يقال لنا ان القاهرة شأنها شأن كل مدن العالم الثالث فالخرطوم يتضاعف عدد سكانها مرة كل ثمان سنوات . كذلك بغداد يتضاعف سكانها فى مثل هذا الوقت . ولكن هل معنى ذلك أن نقف مكتوفى الأيدى وأن نقول أن هذا مسار كل مدن العالم الثالث فماذا عسانا أن نفعل ؟ ان عمومية القاعدة أدعى للقيام بعمل جاد فاذا كان النمو السكانى يتحـدى المجتمعات ويتحدى الأفراد فينقلهم من عالم التخلخل الى عالم الزحام ومن عالم الوفرة الى عالم الندرة ومن عالم الطمأنينه الى عـــالم القلق فلابد من معالجة التحدى بمشروعات بعيدة المدى ولابد من اعداد الفرد لمواجهة هذا التحدى ويقوم اعداد الفرد على تربية الفرد واعداد المجتمع على تربية المجتمع على أننا لانعد الفرد فى فراغ فنحن نعده فى مجتمع ثم أن المجتمع الذى نعده فيه يتغير وهو مجتمع يتكون من افراد ويفترض فيه أن يكون عطاؤه أكثر بكثير من عطاء مجموع أفراده كما يفترض فيه أن يعمل المجموع لصالح الأفراد وأن يعمل الافراد لصالح المجموع وبذلك يعود النفع للفرد وللمجموع فى آن واحد وللتربية المستقبلية مشكلاتهـا ولها أهدافها وأساليبها وهذا ما سنعالجه ان شاء الله فى أحاديث قادمة.

# الحديث السابع

# تغيرات هامة وتربية النشء

## تغيـرات هامـة وتربية النشء

عرفنا فى الأحاديث السابقة أن المجتمع يتغير ، وانه يتغير بسرعة ، وان هذه السرعة متزايدة ، مما يجوز معه أن تحدث لنا بعض المفاجئات . فنجد انفسنا امام مواقف لم نألفها . فنحن نلاحظ مثلا أن اسعار الملابس والأغذية والمساكن وأغلب الحاجيات فى ارتفاع مستمر . كذلك نلاحـظ أن الناس يتحركون بسرعة أكبر بكثير عما كان مألوفا ، فاستبدلت الدواب بالسيارات واستبدلت البواخر بالطائرات وأصبح فى امكان الشخص أن يتناول افطاره فى القاهرة ثم يتناول غـذاءه فى روما أو فى باريس فى نفس اليوم لذلك يلاحظ الناس أنهم ينتقلون من مجتمع التخلخل الى مجتمع الزحام . ومن مجتمع الوفرة الى مجتمع الندرة . ومن مجتمع تجد فيه السيدة من يعينها على واجبات بيتها الى مجتمع لا تجـد فيـه من يعينها وبذلك كأن علينا أن نعد النشء لمجتمع غير المجتمـع الذى نعيش فيه ، ولعلاقات غيـر العلاقات التى نتبادلها وبسـلوكيات غير سلوكياتنا ومهارات غـير ما نألفه من مهارات كذلك نلاحـظ أن الميـول العدوانية بدأت تأخذ صورا جديدة بل تأخذ صورا غير مألوفة أصبحت وسائل الاعلام تضج بأخبار العدوان والسرقة وما اليهما .

كذلك نلاحظ أن العملة بدأت تفقد قيمتها المألوفة واصبحت الهيئات الدولية تنادى بنظم اقتصادية جديدة وأصبحت الهيئات الدولية تبحث عن نظم دولية جديدة وأصبحت قراراتها لا تجـد سبيلها الى اثبـات وجودها .

وتسير كل هذه التغيرات بسرعة ، وهذه السرعة متزايدة ، ممـا جعل الناس يشعرون بالتغير ، وبعض الناس تصدمهم المفاجئات ، وتسبب الصدمات من القلق ما تسببه ، وتسبب فى أحيان كثيرة ألوانا من الانهيار

والتداعى ونحن نريد بالطبع أن نتجنب المفاجئات وأن نتجنب القلق وان نستبعد احتمال التوتر والتداعى والانهيار ...

من أمثلة التزايد فى سرعة الانتقال ان استخدام آلات الاحتراق الداخلى قد منحتنا سرعة قدرها ١٤٠ كم فى الساعة فى عام ١٩٠٠ ومنحتنا الطائرة النفاثة سرعة قدرها ١٤٠٠٠ كم فى الساعة فى عام ١٩٤٥. أما مراكب الفضاء فقد زادت سرعتها على ٤٠٠٠٠ كم فى الساعة فى عام ١٩٨٠ . وقد ترتبت على هذا أمور كثيرة منها أن الانسان يمكنه أن ينتقل من أى مكان على سطح الأرض الى أى مكان بعيد آخر فى عدد قليل من الساعات وان الوصول الى القمر والنزول الى سطحه أصبح أمرا متاحا وان التفكير فى الوصول الى كواكب اخرى بعيدة لم يعد علامة من علامات الجنون ومادمنا قد انتقلنا من سرعة ١٤٠ كم فى الساعة الى سرعة ٤٠٠٠٠ كم فى الساعة فى مدى ٨٠ عاما فهل يمكن أن نتصور ما يمكن أن نصل اليه من سرعة فى الثمانين عاما القادمة . وخلاصة الرأى أن المسافات قد صغرت وأصبح العلماء يتحدثون عن الأرض باسم القرية الكروية وأصبح التشارك بين انسان فى طرف من الأرض وانسان فى طرف آخر منها أمرا ممكنا بل أمرا لا بد منه . وأى حدث يقع فى أى جزء من العالم يصبح عند وقوعه معروفا فى أى جزء آخر من العالم وذلك يرجع الى التقدم فى وسائل الاعلام فالتغير فى سعر البترول فى منطقة الخليج يظهر أثره فور ظهوره فى واشنطون أو فى طوكيو . كذلك يلاحظ أن الناس قد قطعوا مراحل كبيرة فى أساليب السطو والعدوان واختطاف الطائرات وسرقة البنوك بل ان المعتدين يستخدمون كثيرا من الذكاء والابتكارية والاحتيال والتطبيق العلمى وهى أساليب لا يسهل توقعها وقد قرأنا فى الصحف الأجنبية أخيرا مقالا عن الأساليب العلمية فى ارتكاب الجريمة وقرأنا كذلك عن استخدام الالكترونيات فى السطو على البنوك

واضح أن التغيير يكاد يكون شاملا لابعاد كثيرة فهو يتناول السكان والتصنيع والانتاج والاستهلاك والتلوث ونقص الطاقة واستنزآف الموارد الطبيعية ونقص المواد الغذائية وتضخم النقد وسرعة الحركة والسـلام والحرب وسباق التسلح والعلاقات والقيم والاخلاقيات والسلوكيات والمهارات ويلاحظ أن هناك تدهورا فى جوانب وتقدما فى جوانب أخرى فالعلوم العلمية والطبية والهندسية والكيماوية تقدمت تقدما كبيرا ونجـد ٩٠٪ من العلماء والمخترعين الذين ظهروا فى تاريخ العالم يعيشون بيننا اليوم غير أن نصفهم يعملون فى شئون التسلح ٠

ومعنى هذا أن ما نتعلمه اليوم يتغير فى الغد ولهذا فنحن نحتاج الى أن نتجدد بصورة مستمرة ولهذا أمرنا رسول الله بأن نطلب العلم من المهد الى اللحد أى أنه أمرنا أن نتجدد وألا نبقى على الصيغ القديمـة والمعلومات السابقة ومن هنا نشأت فكرة التعليم المستمر أو التربية المستمرة ونجد فى بعض الدول أن الطبيب الذى لا يجدد معلوماته ولا يكتسب مهارات جديدة خلال عدد من السنين تصبح شهاداته عديمة الفائدة أى أن صلاحية شهاداته التى حصل عليها تبطل وتصبح الشهادات غير ذات قيمة وقد نشأت فى السنوات الأخيرة فى كندا وفى غيرها من البلدان ما يسمى مراكز التعلم ويسعى المربون فى السنوات الأخيرة الى ما يسمى المجتمع المتعلم وأفضل عبارة المجتمع المتعلم المعلم وبذلك تكون مهمـة المؤسسة أن تتعلم وتعلم وتنتج وقد درجت كثير من المؤسسات الصناعية فى اليابان على أن تتعلم مما يجرى فى العالم المتقدم وأن تعلمه للراغبين وأن تنتج للعالم ما تعرفه من انتاج سخى فى أغلب المجالات وحصيلتنا فى حديث الليلة فرد يعلم نفسه بنفسه مدى حياته ومجتمع متعلم معلم ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

# الحديث الثامن

## الحاجة إلى تعلم مستمر وتربية توقعية

## الحاجة الى تعلم مستمر وتربية توقعية

عالجنا فى الأحاديث السابقة موضوع التغير ولاحظنا أن كل شيء يتغير وسبحان من يغير ولا يتغير . فهناك تغير فى المجتمعات وهناك صناعات جديدة وهناك تكنولوجيات جديدة تترتب عليها أساليب جديدة فى الانتقال وفى التصوير وفى الاتصال وفى الوصـول الى الكواكب وفى معلوماتنا عن الوراثة وعن الطاقة وفيما يمكن أن يصل اليه الانسان من مهارة ومعرفة وفى مجالات الطب والجراحة والسلم والحرب وكل ما هو موجود وكل ما هو معلوم للبشر . ويقتضى هذا التغير أن نتمكن على الأقل أن نتابعه وأن نتلاءم معه هذا على الأقل ولكن الواجب أيضا أن نتوقع التغير وأن نسبقه وأن نتمكن من أن نتحكم فيه ولو بعض الشيء وأن نسعى قبل ذلك لاكتشافه فاذا عرفنا مثلا أن السكان فى تزايد وأن الزحام فى تزايد وأن التصنيع فى تزايد وأن التلوث فى تزايد وأن الغذاء للفرد فى تناقص وان الخضرة فى تناقص والزحف الصحراوى فى تزايد فعلينا اذن أن نتمكن من تقدير التزايد وعلينا أن نتمكن من توقعه ومن ضبطه لحسابنا وهذا ما نسميه بالسعى نحو التربية التوقعية .

وبعبارة أبسط نريد أن نربى النشىء تربية توقعية أو تربية تخطيطية ولتوضيح الفكرة نشير الى أن هذا المفهوم مفهوم جديد فى مجالات التربية فعلينا أن نعلم أطفالنا كيف يخططون للاسبوع التالى أو للشهر التـالى أو على الأقل لليوم التالى ونعرف أن العامل البسيط فى أوروبا يعـد لاجازته قبل مجيئها بمدة طويلة فيدخر لها جانبا بعض المال ويحـدد الى اين سيذهب وكيف ومع من يذهب وأين سيمكث وما يحتاجـه من ملابس ومعدات وكم من الزمن يمكث وكيف يعيش وكم ينفق وهكذا يضـع خطة كاملة بتكلفتها وبرنامجها الزمنى ويحدث هذا عادة عاما كاملا قبـل

الاجازة . هذه تربية تخطيطية يمكن أن ندرب عليها أبناءنا وبناتنا وهم فى سن مبكرة والتربية التخطيطية تولد لدى الشخص مناعة ضد الارتجالية فمن شأن الارتجالية أن يتحرك الشخص بفعل ما يقع من احداث أى أنه يكون هناك حدث أو فعل وهناك من الشخص أو المجتمع رد فعل فاذا برد الجو فاننا نحمى أنفسنا من البرد واذا قام أعصار فاننا نواجهه أو نحاول أن نواجهه ولكن اذا عرفنا أن الجو سيكون بعد شهر جوا باردا فاننا نعد أنفسنا له من الآن وذلك باعداد الملبس الملائم والغـذاء الملائم والمسكن الملائم والعمل الملائم والمعيشة الملائمة وأما اذا حل الجو البارد دون توقع فقد نكون على استعداد له وقد لا نكون وكثيرا ما نسمع عن حلول أعصار فى بقعة من الأرض دون أن يتوقعه أصحابها وبذلك يتعرض الناس للهلاك والموت فمن شأن التربية التخطيطية أو التوقعية أن تجعلنا نسبق الحوادث بفكرنا ونتوقعها ونستعد لمجابهتها كل هـذا فى حـدود مقـــدرتنا .

قلنا كان سكان مصر ٢٫٥ مليونا فى عام ١٨٠٠ ثم أصبح ١٠ مليونا فى عام ١٩٠٠ وأصبح الآن أكثر من ٤٦ مليونا فى عام ١٩٨٣ وينتظر أن يصبح ٧٠ مليونا أو يزيد فى عام ٢٠٠٠ والذين يولدون اليوم سيكونون فى السنة السابعة عشرة من العمر فى العام ٢٠٠٠ وأطفال اليوم هم شباب ذلك العام الذى نتوقعه فانتقالنا من ٤٦ مليونا الى ٧٠ مليونا ليس بعيد الوقوع وانما هو قريب جدا فهل أعددنا العدة فى موارد الغذاء والكساء والاسكان والطاقة والتعليم والصحة والرفاهية .

نحن نحتاج اذن الى تربية تخطيطية توقعية يواجه الفرد ويواجه المجتمع بها ما يمكن أن يحدث فى المستقبل . وواضح أن المستقبل بيد الله وأن كل ما يقع فيه يقع بمشيئة الله وباذنه ولكن الله سبحانه وتعالى منحنا العقل ومنحنا القدرة على التفكير ومنحنا القدرة على التوقع فى

ضوء ادراكنا لمسار الأحداث فمن مسار الأحداث نعرف أن الجو سيكون فى مصر فى الأسبوع القادم معتدلا ونعرف ان سباق التسليح بين الدولتين الكبريين مستمر وانه ليس وشيك التوقف ونعرف أن أسعار المواد الغذائية فى تزايد وأن الزحام فى مدينة القاهرة لن يكون فى الغد القريب أحسن منه بالأمس .. وهكذا .. وهكذا وما يصدق على الأطباء يصدق على المهندسين والمحاسبين والمدرسين والباحثين ومعنى هذا أن الشخص ينمو مع الزمن ويتغير مع الوقت ويكون هـذا كله بحيث لا يـكون الشخص متخلفا عن عصره وهنا نتساءل عن ما يتطلبه التعلم المستمر من جهـد وتكلفة ووقت فاذا أردنا أن يتجدد جميع المدرسين وجميع الأطباء واذا اردنا أن يكون لهذا مؤسساته وأساتذته واجهزته وادواته فلابد ان تكون تكلفة هذا باهظة للغاية وهذا ما سنعالجه فى الأحاديث القادمة باذن الله.

# الحديث التاسع

## مفهوم التعلم المستمر ومفهوم المجتمع المعلم المتعلم

# مفهـــوم التعلم المســتمر
# ومفهوم المجمتع المعلم المتعلم

أثبتنا فى أحاديثنا السابقة حاجتنا للتعلم المستمر ، وحاجتنا الى تجديد الذات ، كذلك أوضحنا حاجتنا للتربية التوقعية ، وذلك فى ضوء الخاصية الأساسية للمجتمع ، وهى خاصية التغير ، فاذاً كانت البيئـة تتغير ، والمجتمع يتغير ، وأنشطة الناس تتغير ، وموارد الغذاء والكساء تتغير ، فان الانسان لابد أن يتغير ، يتغير فى معلوماته لأن العلم يتغير ، ويتغير فى عاداته ومفاهيمه ، ويتغير فى مهاراته وسلوكياته ، وكل هذا يتطلب منه ان يكسب عادات جديدة وان تكون له مفاهيم ومعارف غير التى كانت • معنى هذا أن يتجدد ، وأن يتعلم من آن لآخر ، وقد نصــحنا الرسول الكريم : أن نطلب العلم من المهد الى آخر الحياة ، ونصحنا الأمام مالك بنفس النصيحة حين قال أن الانسان عالم ما طلب العلم ، فاذا توقف فقد جهل • ولكن كيف يكون هذا ممكنا مع هذا التغير السريع المتسارع ومع هذه الأعداد الهائلة من السكان وهى الأعــــداد المتزايدة بسرعة متسارعة ؟ كيف يمكن أن يكون هناك تعليم مستمر لكل هذا العدد علما بأن متوسط العمر فى تزايد مع تزايد التقدم فى وسائل الصحة ؟ وهذا مما يزيد من الجهد المطلوب •

للاجابة على هذا السؤال علينا ان نوجد وسيلة للتجدد الذاتى لكل من الفرد والمجتمع • هذه أقل الوسائل مجهودا وأقلها تكلفة وأكثرها توكيدا للوصول الى نتيجة • فبالنسبة للفرد نتجه الى أن نعلمه كيف يعلم نفسه • نفرق بين أن يعلم انسان انسانا آخر وبين أن يعلم الانسان نفســه •

لنأخذ مثالا : هب أن تلميذا سالك عن معنى كلمة غير مألوفة مثل كلمة « سجنجل » فهناك أكثر من طريقة للرد على ذلك • ومن هذه أن

أعطيه الاجابة فورا ان كنت أعرفها ، ولعلى أزهو بهذا اذ أن العالم فى عرف بعض الناس هو من امتلأت جعبته بالاجابة الصحيحة عن كل سؤال ومن هذه الوسائل أن اقول له دعنا نبحث معا عن معناها فى المعجم وتكون هذه فرصة طيبة نأتى فيها بالقاموس ونشركه معنا فى البحث عنها وبهذا يتعلم أن البحث عن معنى كلمة غريبة يكون بالرجوع عادة الى المعجم ويكون بأسلوب خاص يتعلمه الانسان وبه يعرف أن السجنجل هو المرآة فعندما تعرض له كلمة أخرى مثل زخم أو زحار يريد معرفة معناها فانه لا يلجأ الى المدرس ويشغله وانما يلجأ الى المكتبة ويحصل على المعجم ثم يبحث فيه عن معنى الكلمة الجديدة ، بهذا اكون قد علمت الناشىء كيف يعلم نفسه باستخدام المعجم .

وبذلك يصبح المعجم فى نظر التلميذ أداة يستخدمها ومرجعا يرجع اليه ويصبح التلميذ ولا حاجة به لاشغال مدرس يعلمه . هذا هو ما نقصده بأن نعلم التلميذ كيف يعلم نفسه وعلينا بنفس الطريقة أن نعلم التلاميذ كيف يستخدمون دائرة المعارف وكيف يستخدمون الخرائط وكيف يستخدمون دليل التليفونات ودليل سكة الحديد وجداول الأسعار والتقارير السنوية وأعلمه كيف يستخدم المختبر فى فحص مادة وكيف يستخدم الورشة فى اجراء تجربة . أما أن ينشأ الناشىء بحيث يلجأ فى كل مشكلة الى والده أو الى معلمه فهذا استخدام لوقت وجهد يمكن استخدامهما دون اهدار فى شىء آخر وحين نعلم الناشىء كيف يعلم نفسه فاننا نربيه على الاستقلالية لا على الاتكالية ونساعده على أن يبنى كيان شخصيته بنفسه ثم أن العلم الراسخ هو ما يصل اليه الانسان بنفسه قال تعالى فى كتابه العزيز « وأن ليس للانسان الا ماسعى» ونعرف أن هناك مثلا صينيا قديما يقول « اذا جاءك طفل جائع فلا تعطه سمكة وانما علمه كيف يصيد السمك » ووجه الشبه واضح بين مضمون هذا المثل ومضمون ما ذكرناه عن

استخدام المعجم واستخدام الخريطة واستخدام جداول الأسعار واستخدام الترمومتر والمنظار الميزان ٠٠ وما الى ذلك ٠

اذا علمنا الشخص كيف يعلم نفسه فاننا نكون قد زودناه بوسائل ذاتية لتجديد الذات وجعلها مواكبه للعصر أو سابقة له ٠

ونحن نلاحظ أن المدرس يبذل جهدا جبارا مضنيا فى تفهيم التلاميذ وفى تحفيظهم ونعلم الآن أن دور المدرس هو أن يعلم التلميذ كيف يعلم نفسه وبالطبع هناك أدوات أولية لابد من تعليمه اياها ومن هذه القراءة والكتابة والعد والحساب ومعنى هذا أنه لابد من تزويد التلميذ بالمبادىء والأدوات ثم لابد بعد ذلك من اعطائه متعة تعليم نفسه بنفسه وبذلك يكون التعليم أغلبه تزويد الناشىء بالأدوات وتعليمه كيف يستعملها فى انماء ذاته وتكوين شخصيته وزيادة معارفه وشحذ مواهبه ومهاراته ٠

من أهداف التعليم اذن أن أعلم الفرد كيف يعلم نفسه وبذلك يتحقق التعليم المستمر مدى الحياة اذ أن الفرد يملك أدوات تعليم نفسه بنفسه وهى تعيش معه وهو يعيش معها ٠

فنحن اذن نسعى الى تبنى فكرة التربية التوقعية وفكرة التربية المستمرة ولكن هذه أفكار عامة تحتاج الى توضيح أكثر وتحتاج الى مزيد من التفاصيل والى بعض الأمثلة حتى نسترشد بها فى تأصيل هذه المفاهيم الجديدة وفى وضعها موضع التطبيق ٠ وبدون التربية المستمرة نصبح جهالا فقديما قال الامام مالك بن أنس « الانسان عالم ما طلب العلم فاذا توقف فقد جهل » والتربية التخطيطية تحقق بعد النظر ونحن لا نريد أن يقتصر بصرنا على ما تحت أقدامنا ٠

# الحديث العاشر
# سمات المجتمع المعلم المتعلم

# سمات المجتمع المعلم المتعلم

السمة الأساسية للمجتمع المعلم المتعلم أن يعلم الناس بعضهم بعضاً وأن يسعى كل انسان ليعلم نفسه ويرى بعض العلماء أن المتعلم هو الذى يسعى لتعليم نفسه وهو الذى يطلب العلم أما من يتوقف عن طلب العلم فهو الشخص الجاهل ٠ بذلك يكون المجتمع المتعلم هو الذى يطلب فيه افراده وجماعاته العلم والمعرفة وواضح أن المجتمع الذى تشيع فيه الأمية اقل تعلما من غيره ذلك أن معرفة القراءة والكتابة تتيح لصاحبها أن ينصل بغيره فيقرأ ما يكتبون من مكتشفات وعلوم وتكنولوجيا وأفكار وبذلك يتصل فكر انسان فى مصر بفكر انسان فى بلد آخر فى أوروبا أو آسيا أو غيرهما فالقراءة والكتابة هى الأدوات الأساسية لاتصال أفكار الناس بعضها ببعضها الآخر اتصالا يترتب عليه نمو الطرفين الكاتب والقارىء وياحبذا لو أمكن القراءة والكتابة بلغات مختلفة ٠ ومعنى هذا أن المجتمع الذى تشيع فيه القدرة على القراءة والكتابة تشيع فيه العوامل الفعاله فى نمو المعرفة ونمو دواعى التنمية الشاملة ٠ ومن معوقات ادخال التكنولوجية فى مجتمعات الاميين عدم القدرة على القراءة ذلك أن التكنولوجيا تتسم بأنها تحتاج الى ارشادات وتعليمات لاستخدام الأدوات والآلات وهذه الارشادات تكون فى العادة مكتوبة أو مرسومة ومكتوبة ويحتاج مستخدم التكنولوجيا الى قراءة هذه الارشادات وتتبع تشغيل الأدوات والآلات بحسب التوجيهات المكتوبة فاذا لم يكن مستخدم التكنولوجيا قادرا على قراءة التعليمات وفهمها واستيعابها ثم تنفيذها فان الأدوات والآلات تتوقف عن اداء عملها ٠٠ هب أن سيدة اشترت غساله كهربائية بحكم قلة اليد العاملة فلا بد لها من تعليمات مكتوبة توضح نقط الابتداء وخطوات الاستعمال خطوة خطوة والا عجزت السيدة

عن استعمال هذه الغسالة الكهربائية الجديدة أو عن صيانتها ومعنى هذا أن الشعب المتعلم هو الشعب القادر على النمو وهو الشعب القادر على حل مشكلاته فالمجتمع المتعلم يزداد تعلما عند مجابهته لمشكلاته بنفسه وعند الاطلاع على ما كتبه غيره فى هذا المجال والمجتمع الأمى تكون أميته عائقا فى سبيل الافادة مما أحرزه غيره من تقدم علمى وتكنولوجى وحضارى واذا أضاف المجتمع لتعلمه لغات غير لغته فان مجال تقدمه ونموه يتسع ويمتد ومجال سلطاته ينمو ويتسع فعن طريق التعليم تصبح الدولة فى عداد الدول القوية ويصبح لها دورها العلمى .

وقد حرصت اليابان منذ ما يقرب من قرن ونصف على نشر التعليم الابتدائى بين مواطنيها كما حرصت على تعلم لغات أجنبية تساعدها على الاطلاع على مكتشفات الغرب وعلومه وتكنولوجياته ثم انها حرصت على اعادة تصنيع الأدوات والآلات بأجور زهيدة وبعد ذلك حسنت انتاجها ورفعت مستواه ووسعت من انجازه وبذلك أمكنها أن تغزو العالم اقتصاديا وأن يكون لها كيان اقتصادى دولى يفوق ما فى الدول الأخرى بل يكون فى المقدمة .

وتؤمن اليابان بالتعليم ايمانا راسخا فكل أجهزة المجتمع تتعلم وتعلم . وفى اليابان تقوم المصانع بالانتاج المعروف فى مجال السيارات ومجال الاذاعة والتليفزيون ومجال الساعات وأدوات التصوير وكل ما يحتاجه الانسان الحديث . ولأغلب هذه المصانع برامج تعليمية فتجد مصنعا للساعات أو أدوات التصوير وبه ورش للتدريب ومدارس للتعليم وبهذا تضمن تجديد أفكار العاملين فيها وتدريبهم وتضمن كذلك تدريب وتعليم الراغبين من المواطنين غير العاملين فيها . وبلغت ضخامة بعض مؤسسات التعليم فى بعض المصانع ان اصبح فيها أدارات تعليمية كبيرة ولبعض هذه المصانع مجالس عليا للتعليم . هذا بالطبع الى جانب مجالس

البحوث العلمية والى جانب ما تنشره هذه من مجلات وكتب ومطبوعات لها قيمتها التعليمية . هذا نموذج طيب من المجتمع المعلم المتعلم وفيه يتعلم المواطن بصورة مستمرة ويعلم غيره بصورة مستمرة بل اصبح اليابانيون يعلمون بقية العالم كيف يمكن الدول أن تصحو من غفلتها وكيف يمكنها أن تنهض من كبوتها وذلك بان أصبح التعليم والتعلم جزءا لا يتجزأ من سياستها وأصبح التعليم والتعلم مكونا أساسيا فى بنية تكوينها ويمكننا أن نرى فى مصر أن وزارة الزراعة مثلا ترشد المواطنين وتشجعهم على حب الزراعة وممارستها ورعايتها والافادة منها والاستمتاع بها ووقايتها مما يضرها هذا الى جانب تشجيع الانتاج الزراعى لتحقيق الأمن الغذائى اى أن وزارة الزراعة تصبح هيئة تعليمية وكذلك هيئة اقتصادية انتاجية . والذى يقال عن وزارة الزراعة يقال عن المؤسسات الزراعية كلها ويقال عن وزارة الصحة ووزارة الثقافه وأجهزة الاعلام ووزارة الاسكان وغيرها من الهيئات والوزارات . كذلك العلماء الفنيون لا يكونون منتجين فحسب وآنما يعلمون غيرهم وبذلك يزدهرون وتزدهر البلاد والذى ننشده أن يعلم الناس بعضهم بعضا ويتعلمون بعضهم من بعضهم الآخر وصولا الى أن تعلم الدول بعضها البعض الآخر وتتعلم الدول من بعضها البعض الآخر وفى هذا تقدم البشرية وفيه انقاذها مما يتهددها من مخاطر والله المنجى .

# الحديث الحادى عشر

## المجتمع المعلم المتعلم قديمًا وحديثًا

## المجتمع المعـلم المتعلـم قديما وحديثا

اشتهر العالم الاسلامى منذ ظهور الاسلام بما يسمى المدارس القرآنية وهى مدارس لتحفيظ القرآن ولتعلم تلاوته التلاوة اللائقة وكانت هـذه المدارس فى المساجد أو متصلة بها أو فى الزوايا كما يسميها الليبيون أو فى الخلاوى كما يسميها أهل السودان وجرت العادة أن يجتمع فيها عدد كبير من التلاميذ تحت اشراف معلم واحد هو الفقيه وجرت العادة كذلك ان يتغلب هذا المعلم الوحيد على مشكلة الأعداد الكبيرة بأن يكل الى كبار التـــلاميذ والنابهين الناضجين منهم بمعاونته فى تعليم الصغار والمبتدئين وبذلك يتعلم الصغار ويتمكن الكبار من علمهم وكان على الفقيه أن يشرف وأن يراجع وبذلك يتعلم الجميع فكنت تجد الشيخ يدير هذا بكفاءة رائعة فهو يسمع لأحد التلاميذ الصغار أو الكبار ويلاحظ كبـار التلاميذ ( أو العرفاء ) وهم يحفظون أو يسمعون لصغار التلاميذ وبذلك تنقسم الكتاب أو المدارس القرآنية أو مدرسة القرية الى حلقات متعـددة كل حلقة صغيرة فى حجمها ويشرف الشيخ على هذا كله بمنتهى الحزم والدقة وقـد اطلع اثنـان من المربين الانجليز وهما أندروبل وجوزيف لانكستر على هذا الأسلوب فى كتاتيب الهند فى أواخر القرن الثامن عشر ولما رجعا الى انجلترا عمد كل منهما على حدة على اقتباس طريقة العرفاء وتطبيقها فى مدارس انجلترا فقد كان المعلمون قليلين وكان الاقبال على التعليم شديدا وبذلك أمكن تعليم أعداد كبيرة من التلاميذ الانجليز بواسطة أعداد قليلة من المعلمين • وبذلك قدمت التربية الاسـلامية عطاءها فى هذا المجال من التعليم الى أجزاء العالم الأخرى وياحبذا لو تعلمنا من ماضينا ما يمكننا ان نصلح به حاضرنا ومستقبلنا •

ومعروف أن المجتمعات البدائية يقـــوم النشاط البشرى فيها على

الصيد والقنص والزراعة وعلى مجابهة الطبيعة ويقوم الكبار باصطحاب الصغار فى هـذه الأنشطة فيشاهد الصـغار الـكبار ويساعدونهم وبذلك يتدرجون فى التعلم ، تعلم الصيد والقنص والزراعة والحصاد ورعاية الحيوان والنبات والبيع والشراء وحل الخلافات ومواجهة تغيرات الطقس وعوادى الطبيعة وحماية البيئـة وحسن الافادة منها وبذلك نجـد فى المجتمعات البدائية وهى مجتمعات على فطرتها أن الصغار يتعلمون من الكبار وأن المتعلمين يعلمون غير المتعلمين وكلها دروس عملية قائمـة على الموعظة المتعلمة من الخبرة ونجد فيها تعاون الأفراد واحترام حقوق الأفراد والجماعات وأسباب الحياة الآمنة المطمئنة وعوامل اضطرابهـا وارتباكها .

وقد ضربنا المثل بما يجرى فى اليابان من مؤسسات تعليمية تنشئها المصانع .. مصانع السيارات وآلات التصوير ووسائل النقـل السريعة وأجهزة التليفزيون والراديو فمن المعروف أن المؤسسات الصناعية فى اليابان تنشىء مؤسسات تعليمية لعمالها ولغير عمالها وقد قطعت فى هذا شوطا يجعل المجتمع اليابانى بحق مجتمعا معلما متعلما من النوع الحـديث .

ومعروف كذلك أن التعليم بصفه عامة لا يجوز أن يكون قاصراً على المدارس وانما يجب أن يمتد الى الورش الصغيرة والى المكاتب التجارية والمكاتب الهندسية والى عيادات الأطباء والى المستشفيات والوزارات .. فاذا ظهر مرض فى جهة ما فان واجب الهيئات الطبية يتجه الى محاصرة المرض ومعالجة المصابين والى تعليم الآخرين كيف يحافظون على أنفسهم وكيف يحاربون المرض وعلى الهيئات الطبية كذلك رفع الوعى الصحى عند المواطنين وارشادهم الى ما يقوى مناعتهم ويزيد من مقاومتهـم . وبالنسبة الى حركة مرور السيارات علينا أن نعلم تلاميذ المدارس بحيث

يحمون أنفسهم من مخاطر الطريق وبحيث يتبعون القواعد عندما يكبرون وعندما يتعلمون قيادة السيارات . ويمكن أن نتصور أن المدارس تدعو رجال المرور الى المدارس لتعليم التلاميذ ولتدريبهم وبذلك يتكون مجتمع واع فى هذا المجال وما يقال عن الصحة وعن المرور يقال عن نظافة الشوارع ويقال عن حوادث الطريق وعن رعاية المرضى والمعوقين وكبار السن ويقال عن آداب الحديث وآداب التعامل وعن كل جوانب الحياة اليومية .

ويحدث أن يجد شاب وظيفة فى مصنع أو فى مكتب أو فى هيئة ويقتضى الواجب أن يقضى الموظف الجديد مرحلة توجيهية يتعرف فيها على كل ما ينتظر منه وما ينتظره من غيره ويقف على أساليب التصرف فى المواقف المختلفة وبذلك لا يجد طريقه عن طريق المحاولة وتجنب الخطأ وانما يجده على أساس من العلم والمعرفة مما يتعلمه ممن سبقوه فى هذا المجال ولهذا تعنى الدول المتقدمة بما يسمى التوجيه التعليمى والتوجيه المهنى والتوجيه أثناء الخدمة ففى التوجيه المهنى توجد فى المدارس أو حولها مكاتب لمساعدة الشباب على معرفة فرص العمل ومعرفة مواصفاتها وابعادها فاذا عرفها الشاب واذا راقت له اتجه اليها واذا لم يكن قد أعد لها فانه يعد نفسه لها . وفى التوجيه المهنى مجال لتعليم الشباب ما يتعلق بما يضطلعون به من أنشطة وبهذا تتضح للشباب آفاق المستقبل .

ولا داعى لأن نؤكد أن كل نشاط تقوم به هيئة أو شخص يمكن أن يكون ممارسة لعمل ويمكن أن يكون هو أو ما حوله تعليم لآخرين ولاداعى لذكر الدور التربوى لأجهزة الاعلام من صحافة واذاعة مرئية ومسموعة وللملصقات والنشرات ومجال التربية والتعليم للمجتمع بكل مستوياته مجال واضح يحتاج الى عناية كبيرة فى اطار فكرة المجتمع المعلم المتعلم وهى فكرة واضحة المردود .

# الحديث الثانى عشر

## فى سيكولوجية التحدث والإستماع

# فى سيكولوجية التحدث والاستماع

حديث الليلة معالجة نفسية لموضوع من موضوعات الحياة العـامة وهو موضوع التكلم والاستماع فحين يجلس الناس بعضهم مع بعض فانهم فى العادة يتحدثون ويأخذ التحدث والاستماع أشكالا متباينة وأنماطا متعددة فاذا لم يكن بين الجالسين علاقة سابقة مثل الذين يجمعهم لأول مرة صالون فى قطار فان كل واحد منهم يشغل نفسه بجريدة أو بكتاب أو بالنظر من النافذة أو بالتدخين لأنه يقاوم فى العادة اقحام نفسه على غيره ولكن سرعان فى بلادنا ما تتحطم هذه المقاومة ولا تنقضى سـاعة حتى يكون التحدث قد ملأ الصالون ٠ أما اذا كانت هناك علاقات سابقة من النوع العادى واذا ساد الصمت فان الكآبة والحزن يخيمان عليهم الى أن ينفجر واحد منهم فيسعل أو يتحدث عن الجو أو عن الاحوال العامة وبعبارة أخرى يتكسر الثلج بطريقة أو بأخرى ومن الأنماط ما تراه من أن مجلسا فى بيت يضم خمسة أو ستة أشخاص يتحدث منهم كل اثنين معا فاذا وقفت على بعد قريب سمعت خليطا عجيبا من الاصوات ولهـذا يرفع المتحدثون من أصواتهم حتى يمكن سماعهم من خلال هذه الخلفية الصوتية الصاخبة ومثل هذا النمط نجده فى الدول النامية أكثر مما نجده فى الدول المتقدمة ويقال أننا نجده بين النساء أكثر مما نجده بين الرجال ونجده بين الصغار أكثر مما نجده بين الكبار ٠ وهناك نمط آخر لشخص يلتقى بك فى الطريق العام فيسلم عليك بأن يضع يدك فى يده ويظل قابضا عليك حتى لا تفلت منه ويسمعك قصة طويلة عليك أن تصغى لها ثم يطلب منك أمرا يتعلق بها ويظل قابضا عليك حتى تعده بانك ستفعل شيئا وبعد ذلك يطلق سراحك وللمحادثات التليفونية كذلك ألوان مختلفة من الأنماط المحرجة وغير المحرجة يتقنها بعض الأنماط من الناس ٠

ومن الانماط الشائعة ما يحدث حين تجد شخصا يسيطر على الأسماع وتكون طريقته أن يفرض نفسه بحدة صوته وارتفاع نغمته وعمق نبراته وتسلسل عباراته وترابطها ترابطا وثيقا مما يجعل من الصعب على الغير اختراقها وتجده يتكلم كما لو كان يقيم حاجزا كثيفا من الصوت يصعب النفاذ فيه بكلمة واحدة وتجده حين يتكلم فانه يكاد لا يتوقف لالتقاط انفاسه لانه ان فعل فانه يخشى ان يخترق حاجزه أحد الجالسين ويتلقف كرة الحديث ويجرى بها فى ساحة الجلسة وفى العادة نجد هـــذا النوع معجبا بسماع نفسه ونجده جالسا مترقبا لا يستمع غالبا لما يقال حوله وانما تجده متحفزا فاذا وقف المتحدث الآخر ليلتقط أنفاسه قفز هذا الى الساحة وجرى هو بالتحدث يفرض صوته النفاذ على الآخرين ويمنـــع غيره من التعبير بسبب كلامه المتصل المتلاصق ولهذا النوع من المتحدثين أساليبه وحيله فهو يستمع اليك أحيانا لا لأنه يريد أن يستمع اليك ولكن لانه يريد أن يقتنص منك نقطة أو فكرة أو عبارة ينفذ بها الى مســـرح التحدث فيقول مثلا « أنا أوافقك تماما على رأيك فتسكت أنت ثم ينبرى هو بالتحدث • وقد يكون سلوك أمثال هؤلاء عرضيا مؤقتا مرتبطا بظروف خاصة أو بمشكلة حادة أى أنه لا يرتبط بنمط تحدثى خاص • أما اذا كان هذا السلوك متكررا فانه يعكس فى الغالب نقصا أو شعورا بنقص • ومن الناس من اذا اشترك فى حديث فانه يكون مستعدا للاقتناع بوجهة النظر الأخرى ومن الناس من يعز عليه ذلك فهو يرى فى قرارة نفسه أو « لاشعوره » أن ذكاءه ومنطقه وتفوقه أرفع بكثير من أن يستسلم للاقتناع أو للتسليم بآراء الآخرين فلا بد أن تكون له الكلمة الأخيرة وأن تكون له الكلمة العليا وأن يكون نطقه هو الحكم الأخير فى الجلسة وهو صنف من الناس ينطوى تعبيره على شعور بالتفوق مبنى قطعا عـلى ما هو أعمق منه من شعور بالنقص أو بالقصور •

نلاحظ من هذا أن الكلام وسيلة لاثبات الذات • ومن هنا كان فى

الاستماع والاصغاء والاستيعاب أكبر درجة من درجات ارضاء المتحدث ونعرف أن من أكثر ما يؤذى الانسان وهو يكلم شخصا آخر الا يستمع اليه هذا الشخص الآخر .

من ذلك نرى أن التحدث المؤدى الى الاستماع والاصغاء والاستيعاب والاستمتاع فيه اثبات للذات وفيه اشعار بالرضا للمتحدث . ومن نفس هذا المنطق نرى أن التلهف على التحدث تلهف للدفاع عن النفس وتلهف لاثبات الذات . وفى التلهف لاثبات الذات دفع لظلم او تغطية لنقص ويكون هذا النقص فى العادة لاشعوريا .

ولان التلهف لاثبات الذات عن طريق التحدث يكون فى الأغلب تغطية لـ « نقص نجد أن التحدث القائم على المنطق مختصر مفيد ونجده قليلا ودالا ونجده هادئا لا صخب فيه . لذلك نجد أن المحاضر العالم المتمكن لا يجهد حنجرته فى القاء محاضرته . أما الذين يجهرون بأصواتهم ويرفعون منها وتعتل حناجرهم فى خطبهم وأحاديثهم فهم أولئك الذين يعوزهم الدليل ويعوزهم المنطق فاذا لاحظت فى مناقشة ما أن الانفعال قد ازداد فهذا معناه فى الغالب أن المنطق قدنضب وقد يكون معناه ان حجة الطرف الآخر قد تتوقف والقاعدة العامة تقريبا هى أن المناقشة القائمة على المنطق تكون فى الغالب هادئة أما المناقشة القائمه على غير ذلك فانها تكون فى الأغلب صاخبة . وما يحدث فى المناقشات السياسية والحزبية والدينية والأسرية دليل على صحة هذا ونجد أن الثرثارين كثيرى الكلام قليلى الاستماع هم من أقل الناس منطقا ومن أقوال اندريه موروا الكاتب الفرنسى أن الانسان يتكلم كثيرا عند ما لا يكون عنده ما يقوله وما يفصح به .

واذا كان الكلام وسيلة لاثبات الذات وأسلوبا لتعويض نقص فهل صحيح ما يقال من أن النساء يتحدثن اكثر من الرجال وان قصار القامة

يتحدثون اكثر من طوال القامة وان من يتلعثمون يميلون الى التـدفق اذا واتتهم الفرصة وان الكهول والأطفال يميلون الى كثرة الكلام .

والموضوع متعدد الجوانب والآبعاد وقد كتب علماء المسلمين كثيرا عن آداب التحدث والاستماع مما يجب أن ننشىء عليــه صغارنا حتى يشبوا عليهـا .

* * *

# الحديث الثالث عشر

# معنى الروح المعنوية

## معنى الروح المعنوية

يبدو لأول وهلة أن تحديد معنى « الروح المعنوية » ليس بالأمـر اليسير ولكنه معروف كذلك أننا نستعمل هذا التعبير فى حياتنا اليومية استعمالا صحيحا فنقول عن المريض مثلا ان روحه المعنوية عالية وعندما نقول هذا نستبشر خيرا لأن علو الروح المعنوية هنا دليل من دلالات الشعور بالقوة والشعور بالقوة يساعد المريض على مقاومة المرض ويساعده فى العادة على الانتقال بنفسه الى حال أفضل والى صحة أحسن . كذلك الشخص الذى تنتابه أزمة مالية أو يصاب بفقد عزيز عليه نقول عنه أحيانا ان روحه المعنوية عالية وأنه يستقبل قضاء الله بالحمد والرضا ويمكنه بهذه الروح العالية أن يتغلب على أزمته النفسية وأن يستعيد حالة الاتزان ومما يقوى الروح المعنوية ايمان المرء بربه وثقته فى نفسه وفيما حوله تبعا لذلك فعلاقة الانسان بربه هى الينبوع الأول للروح المعنوية .

كذلك فى الحروب يحتاج الجند الى روح معنوية عالية تدفعهم الى مقاومة الأزمات والتغلب على الصعاب واحراز الانتصار ونتكلم كذلك عن الروح المدرسية او الروح فى مصنع ما أو الروح فى الأمة أو الـروح فى جماعة ونصفها بأنها روح عالية وهذه عادة لا نسميها الروح المعنوية وانما نسميها الروح العامة أو الجو العام وهى من قبيل الروح المعنوية الجماعية.

فكأننا نقصد بالروح المعنوية الروح الفردية لمقاومة الأزمات النفسية الفردية ونقصد بالروح المعنوية الجماعية ما نتغلب به معا على ما يمس الجماعات .

والروح المعنوية عامل هام فى النجاح وفى الانتاج . ومن خصائص النجاح والانتاج أنهما يقويان بدورهما الروح المعنوية وهذه بدورها تساعد

على نجاح أكبر وانتاج أكثر فالجندى الذى يرى نفسه ينتصر ويتقدم يشعر بقوة داخليه تدفعه لزيادة التقدم فالنجاح من أقوى العوامل التى تساعد على احراز نجاح آخر فنجاح التلميذ فى عمله يعطيه شعورا بالقوة والمقدرة والاعتزاز ويقوى روحه المعنـوية ازاء الصعوبات ويكون عاملا هاما فى رفع مستوى الطموح وفى احراز نجاح مضطرد ولذلك كان واجبا علينا نحن الآباء والمعلمين أن نراعى أن تكون المهام التى يقوم بهـــا التلميذ فى حدود مقدرته بحيث يؤديها بنجاح فلا يجوز أن أعطيه مسألة حسابية تحتاج الى تطبيق قاعدة لم تشرح له بعد ولا يجوز أن أعطيه مهمة يصعب عليه أداؤها أو تحتاج منه الى وقت وجهد خارج عن طاقته فالعمل الذى يسند للتلميذ يكون بحيث يحتاج منه لجهد يمكنه أن يبذله بنجاح فلا يكون العمل أعلى بكثير من مستواه فيبذل جهدا فى غير طائل ولا أقل من مستواه بحيث يؤديه دون جهدأو بجهد ضئيل وانما يكون العمل فوق مســتواه بحيث يبذل فيه جهدا يشــعر به ويشعر بمــردوده ونتيجته .

كذلك نلاحظ أن مصر فى تاريخها الحديث قد أنجزت الكثير مما يولد فى المواطنين شعور القوة والاعتزاز وكان لنجاح ثورة ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ أثر قوى فى نفس كل مصرى شعر بناء عليه بكيانه وبقوته فى المجالات المحلية والاقليمية والعالمية وجاء بعد ذلك انتصار اكتوبر الذى غير موازين القوى فى صالح مصر ثم ان مصر كانت لهـــا جولاتها فى المجالات الدولية وفى مجالات الصناعة والانتاج مما حولها الى قوة كبرى من قوى العالم كل هذه أمور رفعت من الروح المعنوية للمواطنين وبصرتهم بأنفسهم أكثر وأكثر وحمستهم الى حل مشكلاتهم فى مختلف المجالات

ومعروف أن كل محاولة قد يكون لها ايجابياتها وقد يكون لهـــا سلبياتها وعلينا أن نبرز الايجابيات حتى نتقوى بها ولا نرسخ السلبيات المثبطة على حساب الايجابيات علينا أن نبرز ما يقوى الروح المعنـــوية

دون أن نخدع أنفسنا بأن حياتنا كلها ايجابيات وأنها خلو من السلبيات فما يشيع بين الناس يكون هو الحقوهو الواقعوهو الصدقمع ابراز نواحى القوة ونواحى الايجابيات التى تدفع الناس قدما الى الأمام ومع عـدم اخفاء الجـوانب السلبية حتى نجابهها مجابهة صريحة مسـنفيدين من دروس الماضى ومستفيدين بما عندنا من الروح المعنوية ومستويات الطموح العالية وهنا تأتى اهمية المدرسة وما تبثه فى نفوس أبنائها من المفاخر التاريخية ومما أسهمت به البلاد فى اقامة الحضارة منذ فجر التـــاريخ وتأتى أهميتها فى الاحتفال بابطال البلاد وقادتها وعلمائها وتأتى أهمية وسائل الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة واذاعة مرئية ونشرات وملصقات واعلانات تأتى أهمية هذه جميعها فى تربية الشعب وفى تقوية روحه كبارا وصغارا .

حقيقة أن الروح المعنوية الحالية أعلى بكثير مما كانت عليه فى أوائل القرن العشرين غير أننا فى حاجة الى مضاعفة الجهد لابرازا نواحى القوة ومعالجة ما عداها وهنا تأتى أهمية التعليم وأهمية الاعلام واهمية القدوة وتأتى كذلك أفضلية التشجيع على التثبيط وأفضلية النجاح على ما عـــداه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

# الحديث الرابع عشر

# التربية والتعليم كما عبر عنها الرسول الكريم

# التربية والتعليم كما عبر عنهما الرسـول الكريم

حين نتحدث عن التربية والتعليم فى العالم العربى والاسلامى فاننا نذكر بصورة مستمرة ماجاء من النور ومن الهداية على يدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحين نحتفل سنويا بمولد الرسول الكريم فانما نحتفل بمولد صاحب رسالة انسانية خالدة لا تخرج التربية ولا يخرج التعليم عن كونهما جزءا لا يتجزأ من هذه الرسالة الالهية واذا أمعنا التأمل فى كلمة التربية فاننا نجد أن لفظة التربية ولفظة الرب من أصول لفظية واحدة فرب البيت يقوم بتربية من فيه ويوجههم الى ما فيه صالحهم وصالح الأسرة ومن أقوال الرسول « أدبنى ربى فاحسن تاديبى » وقد أصبحت كلمة التاديب هى الكلمة التى تطلق على المعلم فكان يسمى المؤدب وبذلك كانت التربية وكان التاديب من أعلى المهارات البشرية ومن أرقى الصناعات حتى ان شوقى قال « كاد المعلم أن يكون رسولا » حين دعانا للوقوف له احتراما وتبجيلا ٠

ومن الغريب اننا نجد الكثيرين يتحدثون عن تربية الانسان كما لو كانت أمرا يمكن أن يحذقه كل انسان ٠ ومن الغريب أيضـا أن نجد أن تربية النبات لها المتخصصون فيها ولا يتجرأ على الاجتهاد فيها أى انسان كذلك تربية الحيوان نجد ان لها المتخصصين فيها ولا يتجرأ على ابداء الرأى فيها أى انسان ٠ أما تربية البشر فنجد مع الأسف الشديد أنه لايكاد يوجد من ليس له فيها رأى ولعل ذلك يرجع الى أن كل انسان تعرض فى حياته لتربية من غيره وتعرض فى حياته كذلك لتربية غيره فالانسان ينشا فى أسرة وفى بيئـة ويتعرض للتشجيع والتثبيط ويتعرض للثواب والعقاب ويتعـرض للعطاء والحـرمان وللضرب والتدليل ثم أن الانسان يشترك فى تربية أبنائه واخوته وتلاميذه وغيرهم وفى ضوء هذه الخبرة

القائمة فى الأغلب الأعم على غير اساس يرتكب الأخطاء وقد يتعود عليها ويظن أنه على صواب فيما يفعل وقد يصحح أخطاءه اذا هداه ربه الى الصواب .

فالتربية فن له أصوله العلمية وكذلك التعليم فن له أسسه العلمية وننصح الآباء والأمهات والمعلمين أن يسعوا لمعرفة هذه الفنون وللالمام باصولها وأسسها وفى التراث ذخيرة من التربية الاسلامية باهدافها الرحبه وسماتها الأصيلة مما يجعلها تقف فى الطليعة من الفلسفات التربوية العالمية وتجمع بين أصالة القديم ومرونة الجديد من المفاهيم والافكار والتطبيقات العملية .

ففى مجال العلاقات الانسانية نصحنا رسول الله بأن نحسن التعامل مع الغير قال تعالى « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وقال عليه السلام « لا يكن أحدكم إمعه يقول أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ونحن نجد فى مثل هذه العبارة أعلى مراتب التربية التكامليه مما يؤدى الى وحدة المجتمع وتضافره وتعاضده ومما يؤدى الى وحدة الانسان فكرا وجسدا وعقلا وروحا فالتربية الاسلامية الصحيحة تأخذ فى حسبانها تقدير الفرد واحترامه وتأخذ فى حسابها تقدير الجماعة ووحدتها ومسئوليتها وقال رسول الله فى هذا الصدد « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وتؤكد التربية الاسلامية كما جاءت على لسان الرسول الكريم على

التربية الانسانية فالانسان لم يخلق لنفسه دون غيره أو لجماعته دون غيرها وانما خلق انسانا على قدم المساواه وعلى اسس المحبه للانسانيه كلها وبذلك تتجه التربية الاسلامية الى تكامل الشخصية والى تكامل المجتمع والى تكامل البشر من سكان هذا الكوكب وتعايشهم وسلامهم وأمنهم واستقرارهم .

قال رسول الله « الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه اليه انفعهم لعياله » وقال تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

ومن معجز القرآن أن تكون أولى السور نزولا سورة العلق واولى آياته « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقال رسول الله « طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال ﷺ « أطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وقال « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

وواقع الأمر ان ما اشرنا اليه فى هذا الحديث من تربية مستمرة وتربية تكاملية وتربية تعاونية لا يزيد عن كونه قطرة من نهر دافق بالخير والحكمة والمعرفة الهادفة الى تحقيق السلام وتحقيق التقدم ويوضح ما قلناه ان ما جاء من اسس التربية وأصول التعليم على لسان رسول الله ﷺ انما يجب كل ما جاء من قبل ومن بعد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# الحديث الخامس عشر

# النمو النفسي والتعلم

# النمو النفسى والتعلم

(١) مقدمة : ـ

يمكننا ان نقيد التلميذ فى مدرسة معينة وفى صف معين ، ويمكننا ان نعرضه لخبرات ودروس مرسومة من قبل ، ولكن قد لا نتمكن من الوصول الى تأثره بها أو افادته منها الافاده التى يرغبها أو نتوقعها ، ذلك لانه فى مرحلته هذه ليس مهيئا للتاثر أو الاستفادة من تلك المرحلة التعليمية فالفرد يمر منذ طفولته الاولى حتى رجولته بمراحل تختلف كل مرحلة منها عما قبلها بدرجة ما . ونجده فى كل مرحلة يفصح عن خصائص تتميز بها هذه المرحلة ، وان كانت هناك اختلافات بين اطفال المرحلة العمرية الواحدة . فالطفل يميل فى سنواته الاولى مثلا الى اللعب والحركة ، ويميل الى الاقتداء بوالديه ، ثم يبدأ يتركز تدريجيا حتى يصل الى سن المراهقة ، حيث يبدأ يهتم بزملائه أهتماما أكثر من ذى قبل ، وتبدأ مفاهيمه ومهاراته فى نضج أكبر وتشعب أوسع ، وهكذا ينتقل من مرحلة الى مرحلة بميول متجددة ، ومفاهيم متجدده ومهارات متطورة ، وعادات جديدة ، واتجاهات وعواطف جديدة .

ولكى نربط بين التلميذ ومدرسته ، ولكى نوفق بينهما ، ولكى يفيد التلميذ من مدرسته اكبر فائدة ممكنه ، فلا بد من معرفتنا بخصائص الطفل وقدراته وامكاناته وحاجاته ومشاعره ولابد كذلك من معرفة ما نتوقعه منه فى حياته اليومية من معارف ومفاهيم وقدرات وواجبات وحقوق . فنحن نتوقع فى مجتمعنا هذا من الطفل فى سن السادسة أو السابعة ان يكون قد بدأ يتعلم القراءة والكتابة والتعبير والحساب ونتوقع

---

محاضرة القيت على اعضاء رابطة التربية الحديثة نوفمبر عام ١٩٨٠

منه بعد ذلك بسنوات قلائل أن يكون قدرا على البحث فى الجـــريدة لمعرفة ما سيعرض على شاشة التليفزيون من برامج ، وان يكـون قادرا على كتابة خطاب قصير لوالده ان كان على سفر ٠ ولا نتوقع له فى سن السابعة ان يتعلم الجبر او الهندسة الفراغية ، ولكن نتوقع له هذا فى أول اعمار المراهقة ٠ ونلاحظ اننا لا ندرك هذا عادة فى وضوح ٠ ولكننـــا ندرك فى وضوح ان نتوقع للطفل فى سن الثانية ان يكون قد مشى وتكلم وان يكون قادرا على الاستجابة عند استماع اسمه ينادى به ، وان يكـون فى سن الخامسة قد استقل بنفسه فى الحركة والمشى والقفز والقـــذف وصعود الدرج ٠ وقد استقل بنفسه فى لبس ملابسه وتناول الطعـام ٠٠ وغير ذلك ٠

فبعض الخصائص ذات المظهر المحسوس يسهل ادراكهـــا ولكن الخصائص التعليمية نجدها فى الغالب غير واضحة تماما ٠ وعلى أى الاحوال نجد ان الطفل وقد تعلم القراءة والكتابة والحساب فى ســـن العاشرة أو الحاديه عشرة نتوقع منه بعد ذلك أن يستخدم هذه الادوات لتعلم اوسع واعمق ثم نجده فى سن السادسة عشرة وقد بدأ يهيىء نفسه لمستقبله فى حياة العمل والمواطنه ٠

فعلينا ان نعرف كيف نعاون الناشىء على الوصول الى المســتوى المطلوب فى الفهم والمعرفة والمهارة والمقدرة والتعاون والتنافس والتعود والتخلق ٠٠ وما الى ذلك حتى يكون مهيئا لما يتوقع منه أو يطلب اليه ٠

ومعنى ذلك أن علينا ان نفهم الفرد فى عمر معين وأن نفهم حاجاته وقدراته وامكاناته وان نفهم ما يتوقع منه فى المرحلة القريبـه التاليه وان نفهم الطرق التى يمكن اتباعها والشــروط التى تجب مراعاتهـــا حتى يصل الطفل الى المستوى الذى يتوقع له ٠

**(٢) التهيؤ والتتابع :-**

وعلينا كذلك أن نذكر ان الطفل لابد ان يكون مهيئا لتعلم شىء جديد فهو لا يتعلم المشى الا اذا كان مهيئــــا لذلك وكان قد وصل فى نضجه وفى خبراته الســـــابقة الى مرحلة تؤهله لتعلم المشى فلابد أن يسبق المشى وقوف متوازن ولابد ان يسبقه حبو ولابد أن يسبق هذين جلوس فمتى وصل فى اتقانه لهذه لدرجة معينة أمكنه أن ينتقل لتعلم المشى • أما محاولة تعليم الطفل المشى قبـل الاوان فانهــا تؤدى الى اضرار جسميه ونفسيه قد تدوم مع الطفل مدى حياته • كذلك تعـــلم الكلام يسبقه تدريب طويل لاجهزة التعبير من لســـان وحلق وتجـاويف فميه وأنفيه ، وهذا التدريب يبدو فى شكل صراخ وضـــحك ومنـاغاة وتقليد لاصوات الغير ويثابر الطفل على التدريب حين يخلو لنفســه وحين يلتقى مع غيره ، وبعد ان يصل لمرحلة معينة يبدأ يســـتجيب لمن حوله فى مجال الكلام • معنى هذا ان تعلم الكلام كتعلم المشـــى يحتاج الى تهيؤ ونضج أما اقحام تعليم الكلام على الطفل قبل الاوان فانه يؤدى الى اضرار جسمية ونفسية قد تعوق الطفل فى نموه مـــدى حياته وينطبق نفس هذا الكلام على تعلم القراءة والكتابه والرســـم والحساب والجرى والقفز والاعـــراب والتعبير والخطـــابه والبحث العلمى وغير ذلك • فلا يمكن للتلميذ ان يحل مسالة حســـابية الا اذا كان قد أجاد القراءة وأجـــاد الفهم • وقد حـــدث أن عرضت علينا حالة تلميذه كانت متخلفة فى الحساب فى سنواتها الاولى ، فعالجناها بعد دراسة أحوالها عن طريقتقويتها فى القراءة وفى فهم ما تقـــرأ • وبذلك وصلت الى مستوى فى النضج والمقدرة سهل لها الســـــير فى المسائل الحسابية •

ومن الطبيعى انه اذا كان التلميذ يذهب من بيته الى المدرسة فى سن السادسة ، وان مراحل التعليم تستمر سنوات متتالية ينتقل فيها التلميذ من مفاهيم معينة الى مفاهيم اعمق واوسع ، ومن مهارات طفليه الى مهارات اكثر تعقيدا وأكثر تدقيقا فان علينا أن ندرس كذلك التتابع الدقيق الذى يجعل مقدرة تعليمية تنبنى على مقدرة تعليميةاخرى، وان يكون هناك توفيق بين التتابعين ٠

(٣) التداخل بين عوامل الوراثه وعوامل البيئة :ـ

وليست هده بالمسألة السهلة لسبب ما يوجد من تداخل شديد بين نتائج النضج الطبيعى ونتائج التعلم ، فالطفل العربى يتعلم الكلام العربى لانه بعيش فى بيئة عربيه ، ولان قضاءه لحاجاته لا يمكن ان يتم الا اذا تعلم الاتصال بمن حوله بهذه اللغة ٠ فكأن العوامل الطبيعية تتفاعل مع عوامل البيئة فى هذه الاحوال ولا يخرج النمو فى أى فترة من الفترات عن كونه محصلة لعوامل بيئيه وأخرى وراثيه حتى أن بعض علماء النفس تصور النمو على أنه نتيجة النضج الوراثى مضروبا فى أثر البيئه ، فاذا تساوى تلميذان فى مواهبهما ، وكانت بيئة احدهما اخصب واغنى من بيئة الاخر ، فان نمو صاحب الحظ الاوفر يكون أوفرا ٠ وذهب بعض علماء النفس كذلك الى ان تحصيل التلميذ فى أى مرحلة يمكن أن ينظر اليه على أنه ينتج عن نضجه الوراثى مضروبا فى الخبرة التى مر بها للوصول الى هذا التحصيل فتحصيل تلميذ فى القراءة يكون صفرا ، اذا كانت خبرته فى تعلم القراءة معدومة تماما ٠ ويزيد التحصيل كلما زادت الخبره بشرط ان تكون فى حدود مقدرة المتعلم ٠

**(٤) تداخل المراحل المتتابعة :ـ**

اختلف المربون منذ وقت بعيد حـــول مراحل التعليم من حيث ربطها بمراحل النمو ، وحاول الذين يجمعون بين الدراسات النفسية والتربوية فى الماضى ان يضعوا حدودا بين كل مرحلة والتى تليهـــا ، وحاولوا ان يثبتوا أن مراحل التعليم لابد أن تتمشى مع مراحل طبيعية معينة ، فقالوا بالطفولة فالغلومة فالمراهقة فالبلوغ فالشباب .

وترجع أسباب الاختلاف الى أمرين : أولهما وجود فروق كبيرة بين الأفراد فى مستويات نضجهم ، وثانيهما وجود تداخل عند الفرد الواحد عند انتقاله من مرحلة الى آخرى .

فحول النقطة الاولى نلاحظ أن طفلا يمشى فى نهاية السنة الاولى، وان طفلا آخر لا يمشى الا فى نهاية السنة الثانية او منتصف الثالثـــة ونلاحظ ان طفلا يتكلم وعمره عشرة اشهر بينما نجد طفلا آخر لا يتكلـم إلا فى سن الثالثة . وما ينطبق على المشى والكلام ينطبق على الفهـــم والادراك والوعى والثقة بالنفس . وعندما ننتقل الى مراحل المراهقـــة والبلوغ نجد ان اولادا يبلغون الحلم فى سن مبكره بينما يبلغها غيرهـــم فى سن متأخرة . ونلاحظ فروقا شاسعة فى مستويات النمو وفى التفكير والقدرة على التعلم . لهذا نجد أن تحديد النهايات وتحديد البـدايات فى مجال النمو بصورة تنطبق على الاطفال جميعا مســـألة غاية فى الصعوبة بل أنها تكاد تكون غير ممكنه الا فى حدود قليلة . اما النقطـة الثانية فانها تتعلق بتداخل مظاهر النمو عند الطفل الواحد . فنجد ان الطفل ينمو بتدرج واضح ففى الكلام يبدأ حياته بالصراخ والمناغـــــاه والضحك ، وتأخذ كل واحدة من هذه أدوارا متداخلة ، وبعد التدرب نجده فى الشهر العاشر أو بعد ذلك ينطق بكلمة مقلدا والديه . ونجد أن

الطفل فى نموه الحركى يقضى الأشهر الاولى فى حركات عشوائية غير منتظمة ، ونجد أن هذه الحركات العامة الغامضه غير المميزة تنبثق عنها حركات اخرى كتحريك الرأس والعينين والجلوس . ثم ينتقل الى الوقوف فالمشى فالجرى والقفز والرقص . ونجد أنه من الصعب فى الملاحظات العادية أن تدرك متى ينتهى تحصيل ويبدأ تحصيل اخر . فالنمو عملية تتداخل اجزاؤها بعضها فى بعضها الاخر ، ولكن يحكمها مظهر واحد ، وهو أنه انتقال من كل غامض غير متميز الى كل أكثر تفصيلا ، وأكثر تمييزا ، واكثر وضوحا . فاذا تابعنا النمو الحركى للطفل من الحركات العشوائية العامة الغامضة غير المميزة الى حركات الوقوف والاتزان والمشى والقفز والقذف والجرى والرقص وصعود السلم رغير ذلك نجد ظاهرة الانتقال من الغامض الى الواضح الى الاكثر وضوحا ، ومن غير المتميز الى المتميز الى الاكثر تميزا ، ومن غير المحدد الى المحدد الى الاكثر تحددا .

وهذا الذى نقوله عن النمو الحركى والنمو اللغوى نقوله عن النمو فى ادراك اللغة وادراك العدد . فالطفل يبدأ بادراك القصير والطويل وادراك الكبير والصغير وادراك القريب والبعيد وادراك العالى والواطى وادراك القليل والكثير وتتحدد تدريجيا هذه المفاهيم مع التعامل والخبرة فمن أدراك القليل والكثير ينبثق أن شيئين اكثر من شىء واحد من نفس النوع وتبدأ تنبثق عن هذا فكرة الجمع ثم فكرة الطرح ومن فكرة الجمع تنبثق فكرة الجمع المتكرر ومن فكرة الطرح المتكرر تنبثق فكرة القسمة ، وهكذا يسير « عقل » الناشىء متحركا من علاقة الجمع الى العلاقات الحسابية والرياضية المعروفة جميعها . ولعل مجالات الحساب والرياضيات هى خير مجالات يتضح فيها موضوع تتابع الخبرات وتتابع المراحل المناسبة ويبدو أن ظاهرة تداخل المراحل ظاهرة طبيعية نجدها

فى حياة النبات وحياة الحيوان فاذا لاحظنا نمو النبات نجد أنه نمو متدرج تتداخل اجزاؤه بعضها فى بعضها الاخر ، وعندما نراقب الزهرة حين تتحول الى ثمرة نجد انه يصعب علينا فى مرحلة ما ان نميز بين الزهرة والثمرة حين يبدأ مبيض الزهرة فى النضج والنمو هاضما اجزاء الزهرة ومحتوياتها ومتطورا فى تدرج عجيب من زهرة الى ثمرة ، واذا أخذت نمو الفراشة فى مراحلها السابقة من بيضة الى يرقة الى شرنقة ( عذراء ) الى فراشة واذا شققنا الغلاف المحيط بالشرنقة نجد انها فى مرحلة وسطى بين اليرقة والفراشة ونجد أنها تتدرج ببطء وتداخل مع الزمن من طور الى طور اخر . كذلك اذا لاحظنا نمو الجنين فى بطن أمه فدراسة علم الاجنه توضح اطوارا متداخلة لو أخذناها على مسافات زمنية متباعدة لوجدنا المظاهر مختلفة أما لو اخذناها على مسافات زمنية متقاربة نجدها متقاربة . ولتوضيح ذلك نقول أن الفرق بين طفل فى السنة الثانية وطفل فى السنة الثالثة اقل بكثير من الفرق بين طفل فى الثانية وآخر فى السابعة . كذلك الفرق بين شاب وشيخ أوضح بكثير من الفرق بين شابين أو بين شيخين أحدهما أكبر من الآخر عمرا .

لهذا كله نجد أنه من الصعب علينا أن نحدد نهاية مرحلة ما وبداية مرحلة تتلوها ونجد ان بعض المدارس يضم أكثر من مرحلة وهم فى ذلك يراعون الإمكانات المالية والادارية ولا ينجم عن هذا ضرر ، ولكن اذا أخذنا المراحل فى سنوات متباعدة يمكن ادراك الفروق .

ومن اعجب مظاهر النمو الانسانى انه اذا بدأ مهارة جديدة فانه يتدرب عليها مركزا مجربا مستكشفا فنلاحظ الطفل الذى يلعب بالكرة يكاد يلعب بها طوال اليوم لانه يتدرب ويستكشف خصائص الكرة ويستكشف مقدرته ويشتق من نجاحه ثقة بنفسه ورغبة فى الاستمرار فى

اجراء التجارب والتدريب والاكتشاف وكسب الثقة بالنفس ولـــذا وجب علينا ان يكون تداخلنا قليلا فنحن نهيء الجو ونوجه الطفل فى رفـــق ثم نتركه يستمتع بلذة الكشف ولذة النجاح ٠

كذلك نلاحظ ان الطفل يركز جيدا فاذا بدأ المشى يركز على ذلك فيؤجل تعلم الكلام واذا بدأ يتعلم الكلام فانه يركز على ذلك ويؤجـــل المشى ، وقد لوحظ أن اطفالا يبداون يتعلمون المشى ثم يتركونه وينسونه لأنهم بداوا يتعلمون الكلام ثم يعودون للمشى بعد ان يكونوا قد اتقنــوا الكلام ونلاحظ مثل هذه الملاحظات فى الاجواء الحرة التى يقل فيهــا تدخل الكبار فى حياة الصغار وأنشطتهم ٠

كذلك نلاحظ عند ما نعلم الطفل التعبير اننا نتعسف احيانا فنحن نريده ان ينطلق بتعبير سليم فنظل نقاطعه ونصححه وبذلك نفقـــده الانطلاق والانسيابية ونشعره بالاحباط ٠ اما اذا تركناه يتكلم ويخطىء ويكتب ويخطىء ثم بعد ذلك وجهناه للصواب ودربناه عليه فانـنـا نعلمه بالتدريج أن ينطلق فى صواب ٠ اما اذا قاطعناه كثيرا فقد يخرج لنــا رجلا عارفا باصول اللغة ولكنه غير منطلق فى التعبير ٠

كذلك يلاحظ أن الطفل حين يتعلم لغة الام تعلما صـحيحا يحتاج الى وقت حتى يسيطر على المهارات والأساسيات والعادات اللازمة لهذه اللغة ولهذا لا يجوز اقحام لغة أجنبية عليه قبل أن يتقن اساسيات لغتــه ومن الخطأ الجمع بين لغتين جديدتين فى أن واحد ٠

ولذا لا يجوز تعليم الطفل العربى الا لغته العربيــــة فى المرحلة الاولى من التعليم ٠

(٥) فلسفة النمو :ـ

للنمو فلسفة تكلم عنها بعض علماء التربية ولا داعى للخوض هنا

فى تفاصيلها ولكن يمكننا ان نعرض لبعض معالمها الرئيسية ، ولعل أهم ما فيها ان المربى عليه ان يأخذ المرحلة كما هى وعليه ان يوجد الظروف والخبرات التى تتلاءم مع خصائص الفرد فى هذه المرحلة بحيث تتجه الاتجاه المرغوب فيه من الناحية الاجتماعية . فيجب ان نعامل الطفل كطفل ولا يجوز أن نعامله على اساس انه سيكون رجلا بعد عشرين عاما فلابد ان نعطى الطفولة حقها كاملا ، وان نعطى الراهقة حقها كاملا ، وان نعطى الشباب حقه كاملا . اما معاملة الطفل على أنه رجل لانه سيكون فى المستقبل رجلا ، فان لهذا مخاطره الشديدة ، وإذا اخذنا تشبيه النبات ( ولو ان التشبيهات فى العلم غير مرغوب فيها ) فانه لا يمكن ن نعامل البذرة كما نعامل الشجرة لانها ستصبح فى المستقبل شجرة فعلينا اذن ان نعامل الرضيع كرضيع والفطيم كفطيم والغلام كغلام فاذا اشبعت حاجات الطفل فى المرحلة التى يعيشها بطريقة مقبولة اجتماعيا فان هذا يهيئه للخروج من طفولته الى المرحلة التاليه بسلام ، أما اذا حاولنا ان نقفز المراحل وان نسبق الطبيعة فاننا سندفع الثمن غاليا . ونضيف هنا ان الناس يخطئون حين يرون فى الحضانة اعدادا للابتدائى فحسب وفى الابتدائى اعدادا للثانوى فحسب وفى الثانوية اعدادا للجامعة فحسب ولهذه النظرة تأثيرها السىء على نظم تعليم بأكملها .

على أن فلسفة النمو تؤمن أول ما تؤمن بالفروق بين الناشئين فهناك من يتعلمون بسرعة أكثر من غيرهم أى أن هناك الاقوياء المتفوقين وهناك الضعاف المتخلفون ولكل سرعته فلا يجوز ان نجمع القوى المختلفة فى فرقة واحدة ونتسرع فى استنتاج ان هناك ناسا قادرين وآخرين غير قادرين .

ومن فلسفة النمو كذلك ان النمو يتخذ طريقا يشبه الطريق الذى

يتخذه التعلم فنجد ان التعلم يبدأ بالكل العام الغامض غير المحدد وغير المتميز وينتقل فى تدرج الى الكل المتشكل الواضح المتحددالمتميز وينتقل بعد ذلك الى ما هو اكثر تشكلا واكثر وضوحا واكثر تحددا واكثر تميزا

ثم ان النمو يتخذ خط السير الذى يتخذه تطور الحياة فيسير من كل عم الى كل متمايز الى كل متكامل الى كل اكثر تمايزا فالى كل اخر تكاملا وهكذا فاضطراد التكامل والتمايز هو سمة النمو وسمة التطور وسمة التعلم كما يجب أن يكون يضاف الى هذا ان النمو له قوانينه العامة فهو عملية مستمرة متدرجة يترتب كل جانب منها على ما قبلها ، ثم انه يسير كما قلنا فى مراحل ، ولكل مرحلة سماتها وخصائصها مما يصعب التمييز بينها اذا تقاربت ويسهل اذا تباعدت فى المسافة الزمنية ٠ ثم ان النمو لا يسير بسرعة واحدة فى كل الاعمار فبينما نجد الفرد ثابتـــــا لا يكاد ينمو فى عمر من الاعمار نجده فى عمر اخر ينمو بسرعة واضحة٠ كذلك نجد ان الاجزاء المختلفة فى الانسان تنمو بسرعات مختلفـــة فى مختلف الاوقات ونجد ان لكل فرد نمطه الخاص به فى النمو ٠٠ وقد فصل علماء النفس فى هذا من خلال دراسات متعددة مفصلة لا يســعنا الاسهاب فيها هنا ٠

ونجد فوق هذا ان النمو يتم عادة بطريقة كلية ويتأثر بظـــروف الانسان الداخلية وظروفه الخارجية فتتدخل فى ذلك العوامل الوراثيـــة والبيئية وتتخذ على وجه العموم اتجاهات منها الطولى من الـــرأس الى القدمين ومنها المستعرض بين المحور الرأسى الى الاطراف واتجاهه الكيفى من العام الى الخاص ومن الكبير الى الدقيق ٠

هذه خلاصة مركزة لبحوث كثيرة جرت على أيدى علمـــاء النفس خلال القرن الحالى وستتضح معالم هذه القوانين وتلك الفلسفة من خلال

التلقية الباقية فى معالجة الموضوع ٠ وخلاصة الموقف أن النمو الطبيعى فى الحياة هو معلمنا الأول الذى نتعلم منه كيف نعلم دون أن نسير ضد طبيعة الاشياء ٠

(٦) المراحل :ـ

قلنا أنه ليس هناك أتفاق تام على المراحل ذلك لانه يمكننا ان نجمل ويمكننا ان نفصل وهناك دراسات كثيرة حاولت ان توضح ما ينتظر للطفل فى أى عمر من عمل أو سلوك ٠ وهناك تقسيمات تقدم بها المحللون النفسيون لاتهمنا كثيرا فى هذا المجال خصوصا وأنه لا يوجد عليها اجماع ، ولهذا سنورد التقسيم الاكثر تقبلا بين المربين وعلماء النفس وهو كالآتى :ـ

١) ما قبل البلاد وهذه تقسم الى ثلاث مراحل او اكثر
٢) الميلاد ويولد الطفل بعد حمل مدته ٢٨٠ يوما تقريبا
٣) الوليد الاسبوعان الاولان بعد الولادة
٤) الرضيع وعمره من أسبوعين الى عامين تقريبا
٥ ) الطفولة المبكرة من عام او عامين الى ٦ اعوام ٠
٦) الطفولة الوسطى من ٦ أعوام الى ١٠ أعوام
٧) المراهقة من ١٢ سنة للبنات فى المتوسط ومن ١٣ سنة للاولاد فى المتوسط
٨) البلوغ فى اوائله من ١٣ ــ ١٥ سنة
٩) البلوغ فى تمامه من ١٥ ــ ٢٠ سنة
١٠ ) الشباب واكتمال النمو وما يتبعهما ٠

ومن الممكن ان يقتصر كلامنا على المراحل ذات العلاقة بالتعليم ولكن هذا يكون علاجا مبتسرا ذلك لان كل مرحلة اساس لما بعدها

ومؤسسة على ما قبلها فالحالة الصحية للجنين والام قبل الولادة على أكبر جانب من الأهمية فكثيرون من الاطفال يولدون ناقصي النمو بسبب ما يحدث اثناء الحمل من سوء التغذية أو سوء الرعاية أو الافراط فى التدخين او التعرض للامراض أو التعرض للازمات النفسية أو غير ذلك مما يظل يؤثر فى نمو الطفل احيانا طول حياته ويرجع أحيانا التأخر الدراسى فى المرحلة الابتدائية لتأخر عام فى النمو قد ينتج عن عوامل اثرت فى الطفل من قبل ولادته . ولذلك فاننا سنتحدث هنا عن جميع المراحل تقريبا .

(٧) مرحلة ما قبل الولادة :-

عندما يتم تلقيح البويضة الانثية بالحيوان المنوى تتكون العلقه التى تتعلق بجدار الرحم تغلفها المشيمة ، وتبدأ تتحول الى ما يسمى بالمضغة وفى ذلك الوقت تحصل هذه المضغة صفات وراثية تاتى من كل من الاب والام وتكون صفاتهما هذه قد اتت لهذين من ابائهما واجدادهما الى احقاب بعيدة جداً وتنمو النطفة الى جنين يتخلق ويتشكل ويتحدد فى تدرج وفى سرعة وبعد ان يكتمل نموه يولد اى ينفصل عن الام ويخرج الى العالم الخارجى مولودا محملا بخصائص وراثيه وباثار المناخ الذى عاش فيه فى داخل أمه وتسهم فترة الحمل اسهاما له وزنه فى حالة المولود الصحية وفى حيويته ونشاطه وهنا يجب ان تسهم التربية فى اعداد الام اعدادا جيدا لتوجيهها فى مرحلة الحمل ويحسن ان يتم هذا قبل الحمل لا أثناءه .

(٨) مرحلة ما قبل المدرسة ( ٠ - ٢ - ٦ ) :-

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى مرحلتين أولاهما سن الرضاعة ، وثانيهما سن الطفولة الاولى او الطفولة المبكرة . ففى المرحلة الاولى

يتعلم الطفل المشى والكلام ويتعلم بعض الاستقلال فى الاكل بعد الفطام ويبدأ يكون مبادىء عادات النظافة • ويحتاج الطفل الى تدرج فى الفطام والمشى والكلام والحركة • وهذه كلها ادوات الاستقلال • ووظيفتها أن يستقل عن أمه بعض الشىء ويصبح له كيانه المستقبل عن أمه والمندمج فى جو البيت فبعد أن انفصل عن أمه بالولادة ينفصل عن أمه مرة أخرى عن طريق الفطام والمشى ويتصل بها وبغيرها عن طريق الكلام وكذلك المشى •

ونجد فى سن الثالثة ان لدينا طفلا كثير الحركة كثير الاسئلة يتناول الاشياء ويريد ان يفحصها او يقذفها ، وهو بحركته يكتشف المسافات والمساحات ويكتشف مقدرته وبتناوله الأشياء يكشف خصائصها ويكشف قدراته ازاءها ، وما يكاد الطفل يصل الى سن الخامسة أو السادسة حتى يكون قد اكتسب الكثير من القدرات والمهارات والمفاهيم عن ما يحيط به ويكون كذلك قد تعود بعض السيطرة على من يحيطون به فهو فى عمل دائم لكشف نفسه وكشف من حوله وكشف ما حوله وللسيطرة كذلك على ما يحيط به سعيا لقضاء حاجته للعب وتكثر مشكلات الاطفال بسبب نشاطهم وبسبب تدخل هذا النشاط فى حياة الكبار •

وبهذه المقدارات الحركية واليدوية والبدنية واللغوية والفكرية يصبح قادرا على الانتقال الى مرحلة جديدة •

ولكى يتم النمو فى هذه المرحلة على الوجه السليم فى المجتمع الذى بدأت تعمل فيه المراة فى مختلف الميادين يحسن انشاء دور للحضانة ورياض الاطفال لا يكون فيها أى نوع من انواع التعليم المعروفة فى المدرسة الابتدائية وانما تكون للاعداد والتهيؤ للمدرسة الابتدائية وللاتصال الاجتماعى ولتعويد الطفل العادات الشخصية والاجتماعية

السليمة ولاعطائه فرصة اللعب الذى يساعده على نمـــــو احسن واتم ولممارسة الحياة فى جو اعد خصيصا على خلاف الجو العادى فى البيت وتتلافى عادة دور الحضانة ما قد ينشأ عن كون الطفل وحيـدا أو أخيرا أو مدللا أو يتيما أو غير ذلك ٠

وتعتبر دور الحضانة ورياض الاطفال مؤسسات يستنير فيها الاباء والامهات لتربية الاطفال ٠ وتقام عــــادة فى الدول الراقية على اسس تعاونية يسهم فيها الاباء والامهات بنشاط تربوى ويسهمون فى انشائها وادارتها ٠

ولا ضرورة لتوكيد الاهمية البالغة لهذه المرحلة بالنسبة لكل المراحل التى تتلوها ففيها تتكون ثقة الطفل بالعالم المحيط به عن طريق الانطلاق والتقدير والعطف والتوجيه وتهيئة فرص النجاح واثبـــــات الذات ، ولا ضرورة لتكرار أن هذه المرحلة تستند اساسا على المرحلة الســـابقة لهما وتكون اساسا للمرحلة التالية ٠

(٩) مرحلة المدرسة الابتدائية ( ٦ ـ ١٢ ) :ـ

وفيها ينمو الطفل بدنيا ببطء أكثر من ذى قبل اى ان النمو يكون سريعا فى السنوات الاولى من الحياة ثم يبطوء تدريجيا فى هــــذه المرحلة ، ولذا نجد ان صحة الاطفال عموما فى هذه المرحلة أحسن منها فى المرحلة السابقة ، ويمكن أن نسمى هذه المرحلة مرحلة الاتقان فقـــد كسب الطفل فى الماضى مهارات والفاظا ومفاهيم وقـــدرات وهـــو الان يسعى لتثبيتها واتقانها وهو فى ذلك يقدر اعماله ويزنها ويحاسب نفسه عليها غير اننا لا نريد ان ننمى فيه محاسبه الذات حتى تصـــبح تعذيبا لها ولا ان نتركها بحيث تصبح أهمالا وتسيبا ٠

ويلاحظ كذلك أن الحركات الدقيقة للطفل تنمـــــو متأخرة عن

الحركات الكبيرة . ونلاحظ هذا عند الرسم والكتابة فقد يكتب أول ما يكتب اسمه فى الصفحة باكملها لان الطفل يستخدم فى هذه السن ذراعيه اكثر مما يستخدم أصابعه وهذا الذى ينطبق على الكتابة ينطبق على الحركة البدنية وعلى الكلام وعلى كل مهارة وكل ادراك . ولذا لا يجوز الاصرار على الكتابة فوق السطر أو بين السطور اذ ان هذا سيجىء طبيعيا مع تقليد غيره واصرار عليه يسبب العصبية والتفزز .

وحيث ان هذه مرحلة التعلم والاتقان فبالنسبة للغة يكفى ان يتعلم الكتابة والتعبير والفهم بطريقة سليمة صحيحه فى لغة الام . أما اقحام لغة اجنبية قبل اتقان لغة الام فنتيجته عدم اتقان كليهما وهذا مشاهد . واذا كانت هناك حالات قليلة شاذة فهى ليست بمقياس يحتذى . ولذلك نلح فى أن لا يعلم التلميذ لغة اجنبية الا بعد ان يتقن لغته الاصلية ويعرف كيف يستخدمها وهذا لا يكون قبل سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة .

ويمكن تعليم التلميذ المهارات المبدئية اللازمة للالعاب ويمكنه ان يتعلم الاتجاهات الصحية السليمة نحو نفسه وشخصه وان يتعلم كيف يتعامل بالاخذ والعطاء والحق والواجب نحو زملائه ويمكن ان تتكون عنده المهارات الاساسية اللازمة فى القراءة والكتابة والحساب وان تتكون عنده المفاهيم السليمة اللازمة فى سير الحياة العادية فى بيئته التى يعيش ويتحرك فيها يمكن ان يتكون له نوع من الضمير ونوع من الخلق فيقوم نفسه ويحاسبها ( دون أن يعذبها ) على ما يعمل وان يتكون لديه نوع من سلم القيم فهذا عمل حسن وذاك عمل غير حسن . ويمكن كذلك ان يصبح شخصا مستقلا بعض الشىء شاعرا بانتمائه لوطنه وبيئته .

الان وقد تكون لدينا شخص له اتجاهاته وقيمه وعاداته ومهاراته ومفاهيمه وخلقه ومشاعره بالمواطنة ، ويمكنه التعامل مع زملائه ويمكن

ان يستقل بنفسه فى كثير من أموره نكون قد وصلنا بالطفل الى سن الثانية عشرة تقريبا ونكون قد وصلنا به الى الاساسيات والادوات اللازمة لينطلق بها فى حياته فتعلم القراءة والكتابة والحساب والتفكير الموضوعى والنقدى كل هذا يفتح امامه مجالات المعرفة والتعامل وتعلم القيم والخلق وانماء الضمير وتعلم الاخذ والعطاء والحق والواجب والجميل والقبيح كل هذا يؤهله للانطلاق فى المجتمع لتعامل اوسع وتعلم اعمق .

## (١٠) المراهقة والبلوغ :ـ

لا يكاد الغلام ( او الفتاه ) يصل الى سن الثانية عشرة حتى نجده فى العادة شخصا قادرا على الاتصال والتفكير والتقييم والتقدير والتركيز ويقال ان ذاكرة الطفل فى هذه المرحلة تكون قوية جدا وواقع الامر ان اهتمامه بما يجرى حوله واهتمامه بتزويد نفسه بالمهارات والقدرات كل هذا يجعل له قدره فائقة على التعلم والتذكر والاستفادة .

والمهم فى كل هذا ان الطفل قد اكتسب حتى الان الكثير من المعرفة والكثير من الادوات اللازمة لكسب معرفة أوسع واعمق فهو قادر على المطالعة وعلى الحساب وعلى التعبير وعلى الملاحظة وعلى الفحص والاستكشاف ونجده كذلك راغبا فى تجميع الاشياء وتصنيفها ومعرفة خصائصها ثم نجده يتفتح نحو مرحلة أخرى هى المراهقة والمراهقة هى المرحلة التى تسبق بلوغ الحلم وفيها نجد تغيرات جسمية معروفة قد بدأت تظهر على الفتيان والفتيات كظهور براعم الاثداء فى البنات وظهور شعر العانه ويصاحب هذه التغيرات تغيرات جنسية وغددية وبدنية متعددة الجوانب ينتقل بها الناشىء من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب فكان المراهقة وأول البلوغ هما القنطرة التى يمر عليها

الفرد من مرحلة الى مرحلة اخرى • ولذلك كانت هذه مرحلة قلقة من النواحى الوجدانية والمعرفية والسلوكية وكان من الضرورى معـــاونة الناشىء حتى يتجاوزها بسلام الى المرحلة التالية •

وتقسم عادة هذه المرحلة الى مرحلتين يمكن ان نسمى اولاهمـــا بمرحلة انتقالية وهى مرحلة المراهقة وثانيهما مرحلة البلوغ •

هذه هى مرحلة الانطلاق الى المجتمع اذ يتطلع الفرد الى ان يكون مواطنا له دوره وان يكون له عمله ومهنته وان تكون له اسرته وان يكون له كيانه المستقل المفكر • لهذا نجده يميل الى التعمق فى فهم اســـرار الكون والى التوسع فى الاتصال لمعرفة العالم وارتياده ونجده متحمسا للاصلاح والتطوير وتبدأ تظهر ميوله وقدراته واتجاهاته الخاصــة ويهتم اذ ذاك بالمسائل الدينية والعلمية والمثل العليا ويريد ان يمتد فى ابعاد الزمان الماضى السحيق والمستقبل البعيد ويمتد فى ابعاد المكـــان الى الكون بابعاده ولا نهائياته •

لكل هذا وجب رعاية الناشىء حتى لا تكون الفجـــوة كبيرة بين آماله وتوقعاته من جانب وبين امكاناته من جانب آخر • ووجب رعايته بحيث يستقل استقلالا متزنا وبحيث يخرج الى المجتمع مطمئنـا مزودا بكل الادوات التى تؤهله للنجاح •

وهذه المرحلة مرحلة تجريب من جانب المربين وهـم يميلون الى جعل الجزء الاول منها شاملا لانواع من الانشطة العلمية والاجتماعيـة والانسانية يمكن ان يجرب هذه الانشطة ويختبرها ويختبر نفســه فيها وبذلك يختار طريقه بعد ذلك • ولذلك تسمى هذه المرحلة فى فرنســـا بمرحلة التوجيه Cycle D'orientation وهى فى انجلترا وغيرها تعرف

بالمدرسة الشاملة أو المدرسة متعددة المجالات أو متعددة الانشطة وغيـــر ذلك .

ثم ينتقل بعد ذلك الى الجزء الاخير من المرحلة وهذا يقربه من مرحله التعليم الثانوى السابق للعالى وفيه يبدأ يمارس النواحى التى ترتبط بعمله ومهنته وميوله وتخصصه فى المستقبل .

ونظرا لان هذه المرحلة مرحلة نمو شانها شان الســـنوات الاولى فى الطفولة فانه تكثر فيها المشكلات وتكثر فيها الامــراض ولذا وجب ايلاؤها عناية صحية وأجتماعية وعقلية ومهنية وشخصية .

وتتركز اهتمامات البالغ على اختيار عمل وعلى تكوين اســــرة وعلى الانتماء الايجابى للمجتمع ويزعجـــه أن يرى أن ما يتعلمه فى المدرسة قليل الصلة بهذه الامور .

(١١) مرحلة الرشد والشيخوخة :ـ

وبعد أن يكمل الناشىء ما يقرب من العشرين عاما يكون قد كون لنفسه مهارات واتجاهات واضحة نحو نفسه ونحو أسرته ونحـــو عمله ونحو المجتمع الذى يعيش فيه وينتمى اليه ، ولا تكون مشـكلاته قـــد انتهت فمشكلات الانسان تتجدد مع تجدد مواقف الحياة ، وتصـــادفه مشكلات من الوان اقتصادية وأجتماعية وسياسية وأيديولوجية ويمـــر فى الثلاثينات فى مشكلات الانجاب وتعليم الاطفال واعالتهم واعـدادهم وهكذا ينتقل من مرحلة الى مرحلة حتى تجىء مرحلة الشـيخوخة وفيها يترك الابناء آباءهم ليكونوا اسرهم ويستقلوا بعملهم ويتساقط الشــيوخ موتى الواحد بعد الاخر فيشعر الواحد منهم بالوحدة والسام ولكن هــذا ليس امرا مقطوعا بوقوعه فالاعداد للشيخوخة فن من الفنـــون المعروفة وهو يبدأ فى المراحل الاولى بما يبنى فى الشـــخص من طمأنينـــه

وثقة ، وهنا نؤكد ان الاعداد للشيخوخة يبدأ فى الطفولة الاولى بـــل يبدأ قبل ذلك ويستمر حتى العمر المتقدم فالحياة متصلة الحلقات كـل حلقة اساس لما بعدها ومؤسسة على ما قبلها ٠

خـــاتمة :ـ

حاولنا فى هذا المقال القصير ان نصف مراحل نمو الانســـان من المهد الى الرشد وحاولنا ان نربط فى ايجاز بين هذه المراحـــل وبعض مسائل التعليم ولعل اهم الاسئلة التى يمكن ان توجه الى واضع السياسة التعليمية هى :ـ

١ ) فى أى الاعمار يبدأ التعليم بصوره المعروفة وكيف يتطور هذا التعليم

٢) ما نوع المؤسسات التى تنشأ سابقة لهذا التعليم
٣) ما المجالات فى الحالين
٤ ) الموقف من اللغة الاجنبية ومن لغة الأم ٠
٥) الموقف من الاعمال العملية والتكنولوجية والعلمية ٠
٧ ) هل يراعى فى كل مرحله تعليميه انها تؤدى حتما الى مابعدها
٦) هل هناك فروق بين البنين والبنات فى مختلف المراحل
٨ ) مامجالات التعلم فى كل مرحله ٠
٩ ) وهكذا ٠٠٠٠ وهكذا ٠

وخلاصة القول انه لا يمكن وضع نظام تعليمى محدد او برامج محدده وذلك لوجود الفروق الفردية الشاسعة ولا تساعها بتقدم العمر ومع ذلك فهناك خصائص عامة على اكبر جانب من الفائدة فى توجيه سياسة التعليم٠

# الحديث السادس عشر

# مشكلة أطفال ما قبل سن السادسة في الوطن العربى

# مشكلة إطفال ما قبل سن السادسة

# فى الوطن العربى

تتناول هذه الندوة مسائل الطفل قبل بدء مرحلة التعليم الابتدائى ، أى قبل سن السادسة على وجه التقريب . ويجد ربنا هنا ان نقول ان اقرار سن السادسة لسن بدء التعليم الرسمى لم يحدث اعتباطا ، وأنما جاء نتيجة خبرة أمبريقية طويلة ، وبحوث نفسية مستفيضة . فالطفل فى السنوات الخمس أو الست الاولى يميل عادة الى استكشاف نفسه ، واستكشاف ما يحيط به ، ويبدأ يفصح عن نوع من الجدية ونوع من التركيـــز لفترة فى سن السادسة . ثم انه ينتقل حوالى هذه السن مما نســميه مرحلة الذاتية الى مرحلة الغيرية . فيكون الطفل فى العادة فى سنواته الاولى من الثانية أو الثالثة حتى الخامسة أو السادسة مرتكزا حول نفسه .

فالطفل قد يتحدث اليك ، ولكن لا يهمه كثيراً ان تفهم ، وأنمــا يهمه أن يتحدث ونجد الطفل فى تعامله وتساؤله ولعبه وكل تحــركاته أميل الى ما نسميه مركزية الذات . ينتقل بعد ذلك اذا كان طبيعيــا ، واذا نما نموا طبيعيا ، من الذاتية الى الغيرية من الذاتيـــة الى نوع من الموضوعية ، فالطفل اذا رسم أى شىء بالقـــلم على الورق ، فانه يراه دائما جميلا ويسعد به ويهش له . ولكن فى سن السابعة قد لا يقنع بمــا يرسمه وقد يرغب فى مسحه وأعادته .

ومعنى هذا ان سن السادسة هى مرحلة الانتقـــال الى الغيرية أو الموضوعية والى القدرة على مراجعة الذات ، مما لم يكن ممكنا فى عمر ســـابق .

خلاصة هذا ان تحديد سن بدء المدرسة الابتـــدائية بسن الســـادسة

( ويا حبذا لو كان السابعة ) لم يحدث اعتباطا ، وانما حدث نتيجة خبرة امبريقية طويلة ، ونتيجة بحوث نفسية مستفيضة ، اجراها جان بياجيه فى جنيف وتلاميذه في انحاء العالم اجمع ، واجراها غيره امثال سوزان ايزاكس وشارلوت بيهلر وجزل وأولسون واجريناها نحن وزملاؤنا على مستوى آخر فى مصر واجراها كثيرون آخرون .

ولا تخرج السنوات الست الاولى عن كونها الحلقات الاولى فى سلسة حياة الفرد ولابد أن نؤكد هنا ان تنشئة الطفل منذ ولادته لها أثرها فى كل اداوار حياته بعد ذلك . ونؤكد أن الناس فى العادة لايقدرون مدى هذه الاهمية . فعمليات الرضاعة ، والنظافة والاحتضان ، والنوم، والمعاملة أثناء تعلم المشى ، وتعلم الكلام والتنسيق والنظام واثناء ساعات النوم والصحة والمرض وفى لحظات الضحك والبكاء والمناغاه والحمل والأرجحة وكل هذه أمور تؤخذ فى العادة بشيء من البساطة وهى أمور على أكبر جانب من الاهمية فى وضع الأسس التى ينبنى عليها تكوين اطار شخصية الطفل حين يكبر ويصبح رجلا . هذه الامور التى ذكرناها هي حياة الطفل ومشكلاته .

وقد يقال ان الطفل تتعهده أمه بتربية صحيحة بغريزة الأمومة وبما درجت عليه تقاليد البيئة فى تربية الاطفال وان فى فطرة الام ما يجعلها تتجه دائما الاتجاه السليم . وهذا ليس صحيحا فى كل الاحوال

فنحن نعلم جميعا ان المجتمع يتغير ، وان العلم يأتينا كل يوم بجديد فى مجالات الطب والصحة والوقاية فقد كانت وفيات الاطفال

---

. هذه محاضرة ألقيت فى ندوة تربية الطفل فى السنوات الست الأولى وهى الندوة التى عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن مشكلات اطفال ما قبل سن السادسة فى الوطن العربى وذلك من ١٧ ـ ٢٢ ديسمبير ١٩٧٧ م بمدينة الخرطوم .

مثلا فى السنة الاولى وما يليها كثيرة جدا . ولكنها الآن بفضل المكتشفات الطبية والعلمية الحديثة قد نقصت ففى البلدان المتقدمة قرينة من الخمسة فى كل الف ، وفى البلدان الناميه وصلت الى ١٥ أو ٢٠ فى كل ١٠٠٠ ، بعد ان كانت تصل احيانا الى ما يزيد على الثلاثين فى الف . ونحن نريد بغير شك ان نخفض من وفيات الاطفال والا نعتمد على مايسمونه الفطرة أو التقاليد فى ذلك ..

يضاف الى هذا أن البيئة تتغير ويزداد الازدحام فى المدن ويزيد تعقد الانتقال من مكان الى مكان وتنحسر البيئات الزراعية والمساحات الفسيحة ويتغير شكل الاسرة ويتغير المجال المتاح لحركة الاطفال ولعبهم فهناك تغيرات سكانية وأخرى اجتماعية وثالثة بيئيه ، ورابعة اقتصادية وخامسة ثقافيه وحضارية وغير ذلك مما ينعكس بدرجة غير صغيرة على حياة الاطفال ، فاصبحت المرأة على سبيل المثال فى المجتمعات النامية تخرج من بيتها الى العمل واصبحت فى حاجة الى ان تجد من تترك معه طفلها فى رعاية وامن من الوجهات جميعها حتى تعود اليه ، وكانت الام فى الماضى اذا خرجت تترك طفلها لابنتها أو لجدتها ولكن الابنه لابد أن تذهب الى المدرسة والجدة لم تعد تعيش مع أحفادها فالاسرة الكبيرة فى أغلب الاحيان قد تجزأت والبيوت الكبيرة قد تحولت الى شقق صغيره .

كل هذه وغيرها اعتبارات تجعلنا نفكر واذكر هنا على سبيل المثال ان الحرب حين كانت تدور رحاها فى فيتنام وكان النساء مشغولات بالحرث والزرع وايجاد الغذاء دبر الفيتناميون أماكن يتجمع فيها الاطفال الصغار حتى تعود الامهات من المزارع . وهنا تطوع الشيوخ والكبار لرعاية الاطفال فى هذه الفترة ونشأ من هذا نوع من التنظيم التعاونى لايجاد رعاية بديلة اثناء تغيب الام وسد هذا التنظيم فراغا كبيرا واشبع حاجة هامه من حاجات المجتمع الفيتنامى العظيم :-

وترجع اهمية هذه المرحلة الى انها مرحلة بنـــاء الأسس الاولى للشخصية وهذه الأسس يتم بناؤها على مراحل فميل الشخص للبنـــاء او جنوحه الى الهدم وميله للنظام او جنوحه الى الفوضى وميــله للحب او جنوحه للكراهية وغير ذلك كل هذه صفات تتكون بذورها فى السـنوات الاولى وقد ثبت هذا فى البحوث النفسية بما لا يدع مجـــالا لاى شك فقد ثبت من دراسة مقارنة بين الجانحين والعاديين ان نســبة احتضان الام فى الجانحين أقل بكثير من نسبتها فى العاديين ومثل هذه الدراسات كثيــر .

وفى السنة الاولى من الحياة بل فى الاشهر الاولى من الحياة نركز عادة على غذاء الطفل وعلى نومه وعلى ما يكسو جسمه وعلى مده بالهواء النقى بكل ما يضمن له صحة جيدة وليس كل ما يحتاجه الرضيع فى هذه الأشهر من رعاية بدنيه فهو فى حاجة الى الحمل واللمس والمداعبة وفى حاجة الى ان يلتصق جسمه بجسم أمه بطريقة ملؤها العطف والحب والحنان، ذلك لانه كان من ايام قليلة فى بطن امه محاطا بجو لطيف دافىء منتظم كل حاجاته فيه متوفرة فخروجه الى هذه الدنيا وهى فى جو يختلف تمام الاختلاف عما كان فيه يحتاج الى شىء من الاستمرارية مع الجـــو الاول ويحتاج كذلك الى تدرج فى الاستقلالية عنه ويحتاج فوق هذا الى الاندماج مع بيئة جديدة أوسع واغنى واكثر تباينا فالطفل ينفصل عن الرحـــــم ليلتصق بوالدته ويشبع حاجاته البدنية والنفسية عن طريقها . وهنا تأتى أهمية ان تحمله بين يدها وترفعه وتجلسه على صـــــدرها ففى الحب والتلامس اشباع لحاجة اساسية عند الرضيع .

ولا يلبث الرضيع أن يتحرك بيديه ورجليه وبقية جسمه ويمسك فى الشهر الرابع الاشياء ويعضها ويهزها وهذا يســاعد على نمــو التوافق الحسى الحركى . وفى هذه الاشهر الاولى يميز الاصوات والاشـــكال والاحجام وفى مرحلة متأخرة يميز الالوان ..

ولا ننسى ان فم الطفل وما به من حاسة الذوق هو وسائله وادواته الاولى لمعرفة العالم المحيط به . ولابد ان نساعد الطفل على ان ينمى فهمه لما يحيط به .

ويمكننا ان نعطى مثالا بسيطا لما يحدث هنا مما يضع اسس تشكيل شخصية الفرد من مرحلة الرضاعة . الرضيع يبكى من الجوع أو من ألم بسبب من الاسباب لنفرض انه يبكى من الجوع هنا نجد الامهات يختلفن فى الاستجابه لهذا الموقف . فأم تهلع وتستجيب باقصى سرعة حتى لا تجعل الرضيع ينتظر . وأم أخرى قد لا تهتم وتترك الطفل يبكى لمدة طويلة ، وأم ثالثه وسط بين الاثنين فالذى يحدث فى اغلب الاحيان ( وليس دائما لان علم النفس لا تكون قواعده عادة ١٠٠٪ ) ان الرضيع الاول قد ينشأ قليل الصبر غير قادر على احتمال التوقع والانتظار وقد ينعكس هذا فى معاملاته وفى حياته عند ما يكبر . اما الرضيع الثانى فقد ينشأ من النوع القنوط اليائس الذى يفقد الأمل فى الحياة ويفقد الثقة فيما حوله وقد ينشأ متشككا خوافا له على الحياة وجوانبها نظرة ناقمة سوداء . أما الثالث فقد ينشأ قادرا على التوقع والانتظار والصبر، وواضح ان الامور لا تسير بكل هذه البساطة ولكن هذا نوع من التبسيط يقرب الامور الى الواقع .

والواقع ان المشتغلين بعلم النفس وشئون التربية والتعليم والتعلم يزداد ايمانهم يوما بعد يوم بهذه الحقيقة وهى ان ظروف الطفل من حوله وظروفه الوراثية تشترك معا منذ اللحظة الاولى فى الاطار العام لشخصيته فنجد فى العمر المتقدم هذا منطويا ، وذاك منبسطا ونجد هذا منطلقا ، وذاك منكمشا ونجد هذا متزمتا ، وذاك متحررا الى غير ذلك من الوان الشخصية وأنماطها ونجد الكثير من هذا يمكن تفسيره فى ضوء ما يقع فى الاشهر والسنوات الاولى من حياة الطفل .

ولهذا يلزم اعداد الاباء للابوة والامهات للأمومة واعدادهما لحياة زوجية طيبة متماسكة مستقرة يفهمون ما يجب عليهم نحو اطفالهم لا بما تمليه عليهم فطرتهم ولكن بما تسنده نتائج الدراسات العلمية الحديثة السليمة . وعلينا ان نشرح هنا أهمية الحياة الاسرية الطيبة المتماسكة وتأتى الاهمية من ان الحياة الاسرية المستقرة المتماسكة تشيع الشعور بالامن والطمانينة فى نفس الطفل وتجعله ينمو وينضج اكثر مما لو كان فى اسرة غير مستقرة . وقد يقال ان أطفالا كثيرين نشأوا فى اسر مفككة ومع ذلك نجحوا فى حياتهم . والرد على هذا بان الاسر المفككة تشكل تحديا للطفل وقد يؤدى التحدى الى تحد مضاد أو الى انهيار واستسلام أو الى عدوانية . اما الاسرة المتماسكة المستقرة فانها فى الغالب تؤدى الى نمو طيب . وقد ثبت بالبحث ان خلفيه الاسرة لها أثرها البعيد المدى فى تنشئة الطفل .

ولهذا وجب اعداد النشىء لا لحياة ابوة او امومة سليمة فحسب ، ولكن لحياة اسرية وزوجية طيبة ولهذا كان الاعداد لابوة سليمه وأمومة طيبة حتميا فى أول حياة الناشىء ، ووجب اعداد العدة لاعداد الآباء والامهات لتربية الابناء واعداد الشباب لحياة زوجية واسرية طيبة ولهاتين المسألتين تفاصيلهما الكثيرة واشكالهما المتنوعة .

وليس من الممكن ان نفصل هنا فيما يحدث في المراحل السابقة لسن بدء المدرسة الابتدائية وقد اجريت على الاطفال فى كل انحاء العالم دراسات كثيرة حددت بصورة عامة ما ينتظر عادة من الطفل فى الاشهر الثلاثة الأولى ثم التى تليها ثم التى تليها وهكذا حتى مرحلة الطفولة المتأخرة .

وقد تناول هذا النمو البدنى والحركى واللغوى والحسى والعاطفى بصوره العادية وغير العادية مما ادى الى ظهور المعايير والمستويات ومما

ادى الى دراسة ما يمكن ان يلعبه الطفل او يلعب به الطفـــل وادى الى دراسة المواقف والعلاقات دراسة طيبة ٠

ونجد في الدول المتقدمة كتبا وكتيبات ترشد مصانع اللعب وترشـد الاباء والامهات والحاضنات وغيرها فى كل هذا ارشادا واضحا صريحا٠ كما نجـد البحوث التى انارت الطـريق امام ادب الاطفـال وأغانيهـم وقصصهم ٠

ويقع اهتمامنا فى هذه الفترة على ما قبل الميلاد ثم على الميلاد ثم على الوليد ثم على الرضيع ثم على الطفولة المبـــكرة وتبدأ بعد ذلك الطفولة الوسطى فى السادسة ومعروف ان التى تليها هى المراهقـــة ثم البلوغ فى اوائله ثم البلوغ فى تمامه ثم الشباب واكتمال النمـــو وما يتبعهما ٠

ففى مرحلة ما قبل الولادة يتم تلقيح البويضة الأنثية بالحيـــوان المنوى فتتكون العلقة التى تتعلق بجدران الرحم وتغلفها المشيمة وتبدأ تتحول الى ما يسمى بالمضغة وفى ذلك الوقت تحمل هذه المضغة صفات وراثية تاتى من كل من الاب والام وتكون صفاتها هذه قد اتت لهذين من ابائهما واجدادهما الى احقاب بعيدة وقد تكـــون بعيدة جدا ٠ وتنمـــو النطفة الى جنين يتخلق ويتشكل ويتحدد فى تدرج وفى سرعة وبعد ان يكتمل نموه بولد اى ينفصل عن داخل الام ويخرج الى العالم الخارجى مولودا محملا بخصائص وراثية واخرى ولادية وبأثار المناخ الذى عاش فيه فى داخل امه وتسهم فترة الحمل اسـهاما له وزنه فى حالة المولود الصحية والبدنية والنفسية ٠ وتسهم فى حيويته ونشاطه وهنا يجب ان تسهم التربية فى اعداد الام اعدادا جيدا لتوجيهها فى مرحلة الحمـــل ويحسن أن يتم هذا قبل الحمل وان يستمر اثناءه ٠

وعلى ذكر انفصال المولود عن جسم أمه نجده يتصل ببيئة خارجية أوسع هى سريرة وثدى أمه وجسم أمه والهواء المحيط فهذا أول انفصال يتبعه اتصال بمحيط اوسع . ونستطرد هنا فنقول ان الفطام من الثدى انفصال من الثدى له اتصال بطعام ذى مجال أوسع . ثم ان المشى فيه نوع من الانفصال للتحرك فى مجال اوسع منه ، كذلك الذهاب للحضانة أو المدرسة انفصال جزئى عن البيت لتوسيع دائرة الاتصال . وعند الاضطلاع بعمل ينفصل عن اهله اقتصاديا ليعتمد على نفسه وعلى مجتمع أوسع وعند الزواج ينفصل ليكون أسرة مستقلة .

فهناك سلسلة متدرجة من الانفصال - المتتابعة - والاتصال المتتابعة يجب ان نعين الفرد على ادائها . ونلاحظ ان صعوبة الانفصال فى مرحلة ما تجعل الانفصال متعذرا جدا فى مرحلة تالية ، ومن امثلة هذا من يرفضون الزواج ليعيشوا مع أمهم أو من يحل محلها .

وهنا يمكننا ان نفهم التربية الاستقلالية فى اسمى صورها تبدأ منذ الاشهر الاولى فى حياة الطفل . ونفهم ما نلاحظه من صفات طفلية فى مراحل متقدمة من العمر

ويمكننا ان نعود الآن الى مرحلة الطفولة المبكرة واولها السنة الاولى او السنتان الأوليان فى الحياة .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى مرحلتين أولاهما من الرضاعة وثانيهما من الطفولة الاولى او الطفولة البكرة . ففى المرحلة الاولى يتعلم الطفل المشى والكلام ويأتى المشى بعد الحبو ويأتى الكلام بعد المناغاه بصورها العشوائية والتجريبية ويكسب الطفل درجة من درجات الاستقلال عن امه ودرجة من درجات الاندماج فيما يحيط به والتعرف على ما يحيط به من اناس وكائنات حية وغير حية ويبدأ فى تكوين العادات

والمهارات الاولية المتعلقة بالنظافة والاعتماد على النفس فى تعليم الاكل واللعب والانفراد واللعب مع الآخرين ، ونعرف ان الطفل يتعلم وينمو ويكبر عن طريق الحركة ، والمسك ، والعض ، والانتباه ، والادراك ، والتجريب ، والتقليد ، مستعملا بدنه ويديه وحواسه . وبهذه الطريقة يتعرف الطفل على خصائص الاشياء ويتعرف على ما يتصف به ما حوله ومن حوله ، وبهذا يعرف الطفل صفات الاشياء التى يتعامل بها أو معها ، وابعادها ، واوزانها ويعرف المساحات والمسافات فهـــذا خفيف وذلك ثقيل ، وهذا كثير وذاك قليل ، وهذا قريب وذلك بعيد ، وهذا حاد وذاك غير حاد ، وهذا ساخن وذاك بارد . وهـــذا يعض ، وذاك لا يعض . ولا يمكن بطبيعة الحال ان نفصل فى مسالة متشعبة كهذه درســـها علم النفس دراسة عميقة مستفيضة . ولكن خلاصة هذه المسالة أن الطفـــل يكسب مفاهيمه ومدركاته الاولية الاساسية عن هذا الطريق ، ويتدرج فيه مع الزمن ، حتى يصل الى أعلى مستويات التجـــريد والتعميم . وهذه مسالة مدروسة ، خلاصتها ان اصل المفاهيم العقلية العليا ينبثق من هذه المواقف الحية العملية . وبهذا يكشف الطفل ذاته ، وما يحيـــط به عن طريق التفاعل البدنى واليدوى الحسى الحركى . والطفل فى هذا كله شخص عملى واقعى علمى ، تجريبى ، وينتقل بالتدريج من المحسوسات الى المفاهيم والمدركات العقلية .

غير أن اتجاهاته هذه تصطدم احيانا مع اتجاهات الكبار ومصالحهم وراحتهم ، فيبدأ الكبار يتبرمون بنشاط الطفل ويضـــعون القيـــود على اتجاهاته العلمية الحركية ، وهم فى العادة فى هـــذا غير محقين . فاللعب الحسى الحركى الفردى والجماعى هو الاسلوب الذى منحــه الله سبحانه وتعالى للطفل لكى يتعلم به عن نفسه ، وعما يحيط به ، وعمن يحيطون به ولا يجوز ان نحرمه منه أو أن نمنعه عنه فهو الطريق الممتع

الشيق للنمو الاجتماعى والعقلى والصحى ، ولذ يجب ان توجهه وان نشجعه بدلا من أن نعوقه ونقف فى طريقه ونسد السبيل فى وجهه .

والسر فى اصطدام اتجاهات الكبار مع الصغار ان المجتمع معد للكبار اكثر مما هو معد للصغار ثم ان التزايد السكانى العالمى وتزاحم الابنية فى المدن وندرة الاماكن الواسعة الآمنه كل هذا قد غير من البيئة وأغلب التغير فى غير صالح الاطفال .

وفى النصف الثانى من مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية يكون اتقان المهارات البدنية واليدوية واللغوية والحركية والمهارات الاجتماعية التى كسبها الطفل فى المرحلة السابقة ، فيتعلم الطفل منها الكلام ، وتنمو مفرداته وتعبيراته ومفاهيمة ومدركاته ، ويتحسن نطقه ،

ويتعلم الكثير من المهارات والعادات الجديدة ، وبهذا كله تزداد مفاهيمه ، وتتسع مدركاته ، تتكامل التجاهاته ، ويتكون الاطار العام لشخصيته . فهذا أميل للانفراد ، وذلك أميل للاجتماعية ، وهذا أميل للتسلط ، وذاك أميل للخنوع ، وهذا أميل للطاعة ، وذلك اميل للعناد والمقاومة . وبين هذا وذاك درجات تمثل متصلا مستمرا . ويستمر التعلم عن طريق اللعب ليزداد الطفل عمقا فى فمهه لنفسه ، وفهمه لما يحيط به ومن يحيط به ، وتزيد ( أو يجب ان تزيد ) الجوانب الجماعية فى اهميتها على الجوانب الانفرادية ، ويظهر هذا فى اللعب والتعامل وفى التحدث والاستماع والملاحظة والتقليد وفى بدء الشعور ( أو الوعى ) بما يجب وما لا يجوز فى التعاملات الاولية الاساسية وآدابها .

ويمكن أن يتهيأ الطفل فى هذا الجزء من العمر لشيىء من النظام والانتظام ، والاتساق مع الغير مع مراعاة عدم فقدان الحيوية والابتكارية فهناك الاناشيد والاغانى ، وهناك التعاون فى تناول اللعب ، وهناك

الشعور بالملكية واحترام ملكية الغير ، هناك التمييز الاولى للمرئيات والمسموعات والملموسات والمحسوسات . ويمكن عن طـــريق اللعب ومشاهدة الصور الثابته والمتحركة الصامته والناطقة والمقارنة بينهما وعن طريق الاستماع للقصص والاشتراك فى الاناشيد والاغانى والايقاع ، يمكن عن طريق هذا كله التهيؤ للمرحلة الابتدائية ، التهيؤ عن طريق المشاهدة والملاحظة والحل والتركيب واللعب والاناشيد مع الامتناع امتناعا تاما عن أى نوع من انواع التعليم الشكلى المدرسى المألوف .

ويمكن ان يحفظ الاطفال الاناشيد وما تحمله فى طياتها من أمور الحياة والتعامل أو بعض التعبيرات والجوانب الخلقية والدينية والسلوكية والقومية والمحلية .

ومن أخطائنا الكبرى فى مجتمعنا ان الطفل يبدا فهم حيـــاته وفهم ما حـــوله بيـــديه وبـــدنه وحواســـه . ونحن نتدخل ونبعـــده عن الناحية العملية التجريبية الاستكشافية العملية التذوقية الطبيعيـــة بالتدريس ، لندخل به مجال اللفظيات والمجردات والامـــور البعيدة عن واقع الحياة ونخرج به من المجال العملى الواقعى الشيق ، ونستخدم فى ذلك اساليب التلقين والاملاء والتحفيظ ، وكلها اساليب مملة منفرة ، لانها بالنسبة للطفل جوفاء خالية مما يمت له بصـــلة من المعنى ، وان كانت بالنسبة للكبير ذات معنى . ونحن نخلط بين ما ندركه نحن ، وما يمكن أن يدركه الطفل فبعد ان كان الطفل يجرب ويعمـــل ويكتشف ويفهم بيديه وحواسه ، يتجه نحو الاستماع والطاعة والانصـــياع والحفظ والانتظام والمجاراه . وبعد ان كان الطفل يعتمـــد على نفسه فى التعليم وعلى ذاته فى النمو يصـــبح معتمدا كل الاعتمـــاد على غيره ونكتشف بعد سنوات ( بل بعد فوات الوقت ) انه فى حـــاجة الى ان يمارس العمل اليدوى والبدنى ، وان نحببهما ، ونحضـــهما ، وان

يمتزج عنده التعلم بالعمل ، وان يلتحما ، وان ينبثق كل منهمـا عن الآخر ، وان يؤدى اليه ، وتكتشف كذلك ان الطفل الذى كان شـعلة متوقدة من الذكاء قبل دخول المدرسة قد انطفأ بعض بريقـه أو كله ، وقلت جاذبيته أو انعدمت ، وضعفت مقدراته الاكتشافية والابتـكارية الذاتية ، وازدادت عنده أهمية الحفظ والانقياد . ثم ننادى اليوم بشيء اسمه احترام العمل وشيء اسمه التعلم الذاتى وشيء اسمه الابتكـارية عن طريق التربية الفنية وقد وهبها الله ايانا منذ طفولتنا ثم ضيعنـاها ثم بدأنا نبحث عنها مرة آخرى .

ولهذا كله كانت الحاجة ماسة الى تنظيم رعاية الطفل قبل التحاقه بالمدرسة الابتدائية والى الاعداد الفنى القائم على أسس علمية سـليمة لكل المسئولين عن رعاية الاطفال سواء أكانت هذه الرعاية فى أحضان الاسرة أو ما يحل محلها مما تتطلبه تطورات المجتمع فى العصر الحديث ولا حاجة بنا لذكر ان المقام الاول فى تربية الطفل هو الأسـرة وأساسها الوالدان أما ما عدا ذلك من اجراءات مؤقتة أو دائمة فانهـا تأتى فى المرتبة التالية ولذلك نوصى بالنسبة لهذه المرحلة بما يأتى :

(١) تقوم مدارس التعليم بمختلف درجاتهـا وانواعهـا وفى جميع مراحلها وتقوم أجهزة الاعلام المختلفة كما تقوم المؤسسات والاندية الثقافية والجامعات الشعبية ومراكز رعاية الاسرة ، ومراكـز التجمعات المختلفة باعداد الشباب من الجنسين لتكوين أسـر قوية الدعائم متماسكة البنية . وذلك بمدهم فى المراحل العمرية والثقافية المختلفة بالثقافة الاسرية المناسـبة وليس معنى هـذا اضافة مواد جديدة لخطط الدراسة فى المدارس فمن الممكن اعطاء هذه ملتحمة مع مواد التربية الصحية أو الاجتمـاعية وليس من الضرورى ان تكون كلها متدفقة عن طريق التلقين .

وقد تحتاج هذه الى هيئة تقوم بالتخطيط والتنسيق ووضع الاستراتيجيات والسياسات تشترك فيها جميع الاجهزة وجميع الجهات ذات العلاقة وتوجيهها قيادات متمكنة من الاصول العلمية والتربوية اللازمة .

فاذا كانت المواطنة السليمة تبنى على الطفولة الصحية السليمة كان من الضرورى التأكد قبل الزواج من ان الطرفين يتمتعان بخلوهما من الامراض الوراثية الخطيرة ومن الضرورى العناية بصحة الام الحامل وبالتوعية والمتابعة الصحية والرعاية والتغذية وتوفير المناخ الصحى والنفسى السليم ومن الضرورى رعاية الجنين حتى يولد ولادة سليمة وينشأ بعد ذلك تنشئة صحية من الوجهات البدنية والنفسية .

كل هذا يقتضى اعداد الشباب لحياة الاسرة وذلك بتضمين برامج التعليم العام بما يساعدهم على ابوة سليمة وامومة طيبه . ويضع مسئولية خاصة على التعليم العام وعلى وسائل الاعلام وعلى دور الحضانة والمؤسسات الخاصة وكذلك على وزارات الصحة والزراعة والتغذية وصانعى حاجات الطفولة فى كل مراحلها وهذه مسئولية كبيرة تحتاج الى دقة فى التنسيق والتخطيط .

(٢) العمل على تشجيع قيام دور الحضانة التعاونية ودور الطفولة المعتمدة على الجهود الذاتية والمحلية وغيرها بمختلف صورها . وهذه الدور ضرورية للطفل الذى لا يجد ما يسد حاجاته النفسية والبدنية فى بيته وللطفل الذى تخرج أمه للعمل . ويستفاد من هذه الدور فى توجيه الاباء والامهات والابناء . وتقوم الحكومة بانشاء دور نموذجية ريادية تحتذى عند اقامة غيرها .

ولذلك وجب اعداد العاملات للعمل في هذه الدور إعدادا فنيا خاصا ووجب خلق اجهزة لهـــذا كله تحت قيادات متمكنـة من الاصول العلمية والفنية الازمة لذلك التوسع في انشاء الخـدمات التربوية لمرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية .

(٣) تنشأ في الكليات والمعاهد المناسبة أقسام ومراكز لبحوث الطفولة ودراسة نمو الاطفال وتنشئتهم وظيفتها خلق القيادات واعـــداد المختصين واثراء الرأى العام واقامة الندوات ودورات التـدريب بمختلف صورها واصدار النشرات والمؤلفات لكى يتحقق التوجيـه والتوعية وحل المشكلات ووضع الأسس لبناء جيل قوى بنـــاء نحتاجه لمستقبل أفضل .

(٤) يراعى فى التخطيط للتعليم الذى هو جزء لا يتجزأ من التخطيـط القومى الشامل المتكامل ان يشتمل ضمن ما يشـتمل على البرامج اللازمة لمرحلة ما قبل المدرسة الابتـدائية وذلك لضمان إستنباط الثروة البشرية والافادة منها الى ابعد حد ممكن لصالح الفـــرد وصالح المجتمع فى آن واحد .

ويبلغ عدد الاطفال الذين يفيدون من دور الحضانة ورياض الاطفال فى الدول العربية أقل من نصف * مليون بينما نجد ان عدد الاطفال من ٣ ـ ٦ سنوات يزيدون عن ١٣ مليونا سيصبحون ٢٤ مليونا فى عام ٢٠٠٠ وعدد الاطفال الاقل من ٣ سنوات يزيدون على ١٤ مليونا سيصبحون ٢٦ مليونا فى عام ٢٠٠٠ .

يضاف الى هـــذا ان المدن فى الوطن العربى تزيد اعداد

---

* هذا فى عام ١٩٧٧ م .

سكانها ويزداد فيها ازدحام السكان والمساكن والسيارات مما قلـل من عدد الساحات المتاحة وضيق منها ، وهناك عامل آخر هـــو انشغال المرأة بالعمل خارج المنزل وغير ذلك من العوامل الكثيرة المتشابكة .

من هذا نتبين بعض جوانب اهمية هذا الموضوع الذى يجب الالتفات اليه ففى رعاية الرضع وصغار الاطفال ومن اليهـــم وما اليهم بناء القوة البشرية الازمة لبناء الوطن العربى ودفعـــه فى صورة قوية متماسكة تكون مواكبة على الاقل للعصر الذى نعيش فيــه .

وزيادة على ما تقدم فان كل طفل من هؤلاء المعنيين يقـابله على الاقل والدان ومشرفون ومقبلون على الحياة الزوجية ممـــا يجعل المسألة غير قاصرة على هؤلاء الملاين فهناك اضعاف هذه الاعداد ممن يعنيهم الامر .

## الحديث السابع عشر

# حول أهداف التعليم

# حول أهداف التعلم

## أولا : مقدمة فى الأهداف « ابعادها وجوانبها » :

عالج المشتغلون بالتعليم موضوع أهداف التعليم من سنوات بعيدة وتناقشوا حوله بصورة مستفيضة . ولذلك فان أية معالجة لنفس الموضوع فى الوقت الحاضر قد تبدو كلاما معادا . ولكن حيث ان اعادة مناقشته مطلوبة فلابد من الاستجابة بمحاولة نرجو ان تفى باغراضنا الحالية .

ومعروف ان التعليم العام فى مصر جزء من نظام تعليمى اشمل منه يدخل فيه التعليم الحكومى والخاص ، ويدخل فيه التعليم الفنى والمهنى ، وتدخل فيه المراحل السابقة للمرحلة الابتدائية ، والمراحل التالية للمرحلة الثانوية بأنواعها كما يدخل فيه التعليم الدينى الازهرى وغير الازهرى ، وتدخل فيه الوان متعددة من التدريبات والدراسات .

ويمكن ان يقسم التعليم الى مدرسى وغير مدرسى . اما غير المدرسى فهو ما يمكن تقسيمه قسمين : نظامى وغير نظامى . فالتعليم النظامى غير المدرسى هو ما يقوم على اعطاء دورات دراسية أو تدريبية مخططة منظمة خارج الاطار المدرسى المألوف كهذا الذى تقوم به النقابات والهيئات والجمعيات احيانا . والتعليم غير المدرسى غير النظامى هو ما يجرى عادة عن طريق وسائل الاعلام ، وكذلك عن طريق وسائل أخرى، فالأول كالصحافة والاذاعة والتليفزيون واقامة المعارض والثانى كالمتاحف والمكتبات وغيرها ، ولو ان هذه جميعها يدخلها التخطيط والتنظيم عند الاستخدام فى بعض الاحيان ، والمفروض ان يدخلها التخطيط والتنظيم عند الانشاء أو الاحداث .

---

* ورقة عمل اعدت للمناقشة فى شعب المجلس القومى للتعليم .

ونعرف ان الانسان يتعلم عادة مادام حيا ، ومـــــادام يعيش فى مجتمع وما دام المجتمع يتغير ، فهو فى الغالب يكتسب معارف او عادات او اتجاهات او مهارات جديدة لمواجهة التغير ولتحقيق التلاؤم معه ، او يثبت ما لديه عن طريق الاستخدام والتكرار ، فالصغار يتعلمـــون والكبار يتعلمون واشاعة الصناعات ينتج عنها تعليـــم وكذلك اشـــاعة الانشطة الاقتصادية والثقافية والسياسية والرياضية وغيرها ولذلك تكلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة ، وله كذلك اهداف خاصة نجسها عندما ننزل الى ارض الواقع فى مراحل التعليم ومؤسساته ومناهجه ، وطرقه ، وتطبيقاته ، ووسائل تقويمه ٠ ولابد من وجود اتساق كامل بين الاهداف العامة والاهداف الخاصة ، بل لابد ان يؤدى كل منهما للآخر بصورة سلسة لا يظهر معها أى تناقض ٠ فلا يجوز أن نؤكد عند ذكر الاهداف العامة مثلا على اطلاق ملكات الابداع والابتكار ثم نركز عند التطبيق فى الميدان على الحفظ والتحفيظ والتذكر دون اهتمام كاف بالنواحى الابداعية والابتكارية ، ولا يجوز أن ننص عند التكلم عن الاهداف العامة على وجوب تنمية صفات التعاونية مع حرصنا فى الواقع وعند التطبيق على تنمية صفات الانفرادية والتنافسية وذلك فى الدروس الصفية ، وعند عقد الامتحانات التسابقية وغيرها وكذلك باهمالنا للانشطة المدرسية التعاونية التعاضدية ووضعها فى المرتبة الثانية بالنسبة للانشطة الانفرادية ٠ ولا يجوز ان ننادى بتنمية الايجابية فى شخصية الفرد ونعكف عند التطبيق على السلبية والتلقينية ٠ ومايقال عن الابتكارية والتعاونية والايجابية ، يقال مثله عن التخطيطية والموضوعية والانضباطية ، والانتمائية ، وغيرها من الصفات المطلوبة فى المواطن مما يمكن حصر أغلبه فى سهولة ويسر ٠

ويتحتم اذن وجود التكامل التام بين الاهداف العامة والاهداف الخاصة ويتحتم وجود الاتساق والاتفاق بينهما كما يتحتم رفض كل تناقض فى هذا المجال ٠

## ثانيا : اهداف التعليم من الدستور ومن ورقة اكتوبر :

تهدف الدولة من التعليم الى تنمية المجتمع والى ازدهاره وتقدمه والى بنائه بناء قويا متماسكا على أساس من الايمان والعلم والاصالة

تتوافر له الاستقلالية والعزة والكرامة والشموخ من مركزه فى المجتمع العالمى كما تهدف الى أن يشيع فى أفراده الشعور الواقعى بالاعتزاز والكرامة والحرية والعدالة والطمأنينة وتحقق الذات واثباتها كما تهدف الى ان تمكنهم من العمل والانتاجية والاسداء والاسهام .

واذا نحن لجانا الى دستور البلاد والى الاتجاهات السياسية العامة كما وردت فى ورقة اكتوبر مثلا فانما نفعل ذلك لان هذه الوثائق تضع الاسس العامة والخطوط العريضة التى تنبثق عنها الانشطة الاساسية للبلاد مع علمنا بان هذه الوثائق لا تتناول عادة أى تفصيلات فهى تكتفى برسم الاهداف العامة التى يجب ان تتسق معها الاهداف الخاصة اتساقا تاما وتتكامل معها تكاملا عضويا دون أى - تناقض او تعارض فأهداف المجتمع ككل تنتظم عادة مع اهداف الافراد من حرية واعتزاز وعدالة وطمأنينة وارتفاع بمستوى الحياة والمعيشة .

فنجد مثلا ان وثيقة اعلان الدستور الحالى لمصر تنص على ان التقدم السياسى والاجتماعى لكل الشعوب لا يمكن أن يجرى او يتم الا بحرية هذه الشعوب وبارادتها المستقلة ومعنى هذا توكيد الحرية الجماعية وتوكيد الارادة الجماعية مما يدفع الامة قدما الى الامام ويحميها من الاستغلال والسيطرة الخارجية فى اى صورة من صورها ويقتضى هذا ما يقتضيه من رفع مستويات الوعى واليقظة والانتماء والتحمس عند المواطنين وما يقتضيه من تنمية وسائل الاتصال والربط وتحقيق الوحدة وتضعنا هذه الفكرة على مشارف برامج تعليمية تهدف الى رفع مستويات الوعى واليقظة والعمل فى وحدة متماسكة . غير انه لا يمكننا أن نفصل بين الارادة الجماعية وارادة الفرد وبين الحرية الجماعية وحرية الفرد وبين كرامة الوطن وكرامة المواطن . فلابد ان نفكر دائما ان من اهم الاسس ان تتحقق للفرد حاجاته المادية الاساسية

الاولية وان تكفل الظروف تحقق الحاجات النفسية الاساسية من حرية وتقدير وعدالة وتكافؤ فى الفرص وطمانينة كل ذلك فى اطار اجتماعى سليم متوازن مقبول .

وبذلك يكون الهدف الاسمى ان تتحقق فى المجتمع ديمقراطية لها جوانبها السياسية والاجتماعية يتم فيها تحقيق التوازن بين حاجات الفرد ومتطلباته وبين حاجات المجتمع ومتطلباته ونجد فى هذه الصياغة علاقة عضوية متكاملة تنتظم فيها اهداف المجتمع ككل واهداف الأفراد اعضاء هذا المجتمع كافراد وكمواطنين يعملون ككل ويعمل الكل لصالح المجموع ويعمل المجموع لصالح كل فرد فيشعر كل فرد بقيمة الآخر ويشعر المجموع بقيمة الفرد ويشعر الفرد بقيمة المجموع الذى ينتمى اليه وهكذا يتحقق التماسك ويتحقق الانتماء كذلك تشير وثيقة اعلان الدستور الى الانتماء العربى .

والى ان الوحدة العربية نداء تاريخ ودعوة مستقبل وضرورة مصير وواضح من هذا ضرورة انماء الشخصية العربية فى نفس كل مواطن ، وضرورة الاخذ بهذا فى كل مراحل التربية والتعليم والتثقيف والحياة اليومية وهنا تاتى ضرورة احداث توازن بين ما يقتضيه الانفتاح وما تقتضية الاصاله العربية المصرية وضرورة اعادة النظر فى تيسير تعليم اللغة العربية وفى اللغة العربية كلغة تعليم فى المراحل المختلفة والتخصصات المختلفة وفى مدى ادخال اللغة الاجنبية تحقيقا للانفتاح ومزاياه بما لا يهز كيان استخدام اللغة العربية بل بما يقويها ويدعمها ففى ذلك دعم اساسى للشخصية المصرية العربية .

ولا يقتصر توكيد الاصول المصرية العربية على موضوع اللغة العربية واللغة الأجنبية وانما يتعداه الى كل جوانب الحياة المصرية العربية ماضيها وحاضرها وما يتوقع لها بابعادها التاريخية والجغرافية

والاقتصادية والسياسية والحضارية ولهذه اطرافها المتعددة وجوانبهــا المتشعبة .

وتشير وثيقة اعلان الدستور الحالى فوق هذا الى ضرورة التطوير المستمر للحياة فى وطننا عن ايمان بأن التحدى الحقيقى الذى تواجهه البلاد هو تحقيق التقدم . والتقدم لا يحدث تلقائيا او بمجرد الوقوف عند اطلاق الشعارات وانما القوة الدافعة لهذا التقدم هى اطلاق جميع الامكانيات والملكات الخلاقة المبدعة معنى هذا ان المطلوب هو استنباط ملكات الابتكار والابتداع والتفكير والمطلوب استخراجها وتجميعهــــا وتوجيهها وتصويبها لتنمية المجتمع والارتفاع به ولتطوير الحيـــــاة وتقدمهــا . ولم تنص الوثيقة على الاقتصـــار على ملــــكات الحفظ والاستظهار واسلوب التحفظ بل اوصت بمزيد من الاهتمام بغير هـــذه من الملكات الاخرى وهى الملكات اللازمة للتنمية وللتقدم .

وواضح ان أهم ما يؤخذ على التعليم فى مصر فى الوقت الحــاضر انه لا يفجر من الطاقة البشرية الا جزءاً صغيرا يتصـــل بالقدرة على الحفظ فهو يتجه اكثر ما يتجه نحو تحصيل المعلومات وتخزينهـــــا واسترجاعها عند الامتحان للحصول على شهادة تجيزه امتيازات اهمها حق الحصول على عمل للكسب فى صورة كريمة وحق التوصل الى مركز اجتماعى طيب .

هناك اذن أهدار للطاقة البشرية فى مجـــالات التعليم اذ كان الواجب على برامج التعليم وطرقه ووسائله واجراءات التنفيذ ان تفجر فى الانسان جوانب التـكشف والاختراع والاستنتاج والاســتنباط والتحليل والتركيب والفهم والتعبير وكان الواجب بدلا من أن تركز على الاستظهار والتحفظ ان يمتد عملها الى الشـــخصية كلها بجوانبها العقلية والبدنية .

واليدوية والجمالية والتذوقية والابتكارية والتعـاونية والاجتماعيـة والعاطفية و لانسانية والروحية •

- ومع ذلك فان تصورنا لما يقع من اهدار يزيد كثيرا اذا علمنـا ان من يشملهم هذا التعليم يصل فى الوقت آلحاضر ( ١٩٨٠ ) فى مراحل التعليم الاولى والثانيـة الى سـبعة ملايين من مجموع يزيد على ٩١ مليونا وبذلك نجد ان الاعداد المطلقة للامية فى تزايد مستمر فهى تزيد فى الوقت الحاضر بما يزيد على ١٢٥ الفا فى كل عام لمن تزيد سـنهم عن عشرة أعوام •

وتصبح مشـكلتنا كيف نعلم الجماهير الغفيرة المتراكمة والمتدفقة يوما بعد يوم تعليما جيدا يشمل اغلبية السـكان ويفجر فى كل منهم اعز ما يحتاجه وما نحتاجه من طاقات ويخرج من كل منهم شـخصية لها دورها ولها كيانها • هذه مشكلة المشـاكل لدولة نامية لها جذورها ولها تطلعاتها فى عصر متغير تزداد سرعة تغيره يوما بعد يوم •

جانب اخر من جوانب الاهدار نقدم له بأن الافادة الجماعية من الطاقة البشرية اعلى بكثير من مجموع الافادات الفردية •• معنى هذا ان غلبة الانفرادية على آلتعاونية يترتب عليها اهدار كبير كان يمـكن تلافيه لو اننا عنينا بالتربية التعاونية بدلا من التربية آلتنافسية التسابقية الانفرادية •

وهنا نحتاج الى ان نعيد آلنظر فى التعليم من حيث تطبيقـه ووسائل تقويمه بحيث تكون الاولوية لتشجيع الملكات الخلاقة المبـدعة الابتكارية مما تنص عليه الوثيقة على المستويات الفردية والجماعيـة الشاملة لكل القطاعات وواضح ان فى استنباط الملكات جميعها وتوجيهها

لصالح الفرد وصالح المجتمع توجيه عناية خاصة لما يكمن فى المتفوقين والمعوقين من ثروات بشرية اصيلة او تعويضية .

وتؤكد الوثيقة ان يكون فى حياة الشعب الواعية تكامل يصل الى حد الوحدة الكلية بين العلم والايمان وبين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية وبين الاستقلال الوطنى والانتماء القومى وان تتحقق دائما انسانية الانسان واعتزازه بنفسه وشعوره بالحرية والكرامة والتقدير والعدالة والطمأنينة مع قيامه بدوره الانتاجى والاسدائى فى المجتمع مما يعود عليه وعلى غيره بالفائدة .

هذه هى المبادىء الثانوية خلف بنود الدستور وعددها يقرب من المائتين بندا وهى المرجع الذى نرجع اليه عند رسم اهداف التعليم العامة وما ينبثق عنها من تفصيلات .

وتنص المادة ١٨ على ان التعليم حق تكلفه الدولة وهو الزامى فى المرحلة الابتدائية وتعمل الدولة على مد الالزام الى مراحل اخرى. وتشرف على التعليم كله وتكفل استقلال الجامعات ومراكز البحث العلمى وذلك كله بما يحقق الربط بينه وبين حاجات المجتمع والانتاج .

وتنص المادة ١٩ على ان التربية الدينية مادة اساسية فى مناهج التعليم العام .

وتنص المادة ٢٠ على ان التعليم فى مؤسسات الدولة التعليمية مجانى فى مراحله المختلفة .

وتنص المادة ٢١ على ان محو الامية واجب وطنى تجند كل طاقات الشعب من أجل تحقيقه .

ونرى فى كل مادة من مواد الدستور ما ينعكس فى دور من

الاحوال التى يجب ان يقوم بها التعليم فالقول فى المادة ٣٣ بان الملكية العامة لها حرمتها وان حمايتها ودعمها وأجب على كل مواطن يتحول الى مجال التعليم ليؤدى دوره فيه بصورة اساسية فلا تتم حماية الملكية العامة الا اذا حافظ عليها الشعب محافظة صادرة عن وعى وتقدير وشعور ذاتى بأن هناك حاجة ماسة لصيانة المال العام ولحماية المرافق العامة ويبدو ان التوعية عن طريق مؤسسات التعليم واجهزة الاعلام والوعظ والارشاد لا تحدث الاثر المطلوب وتبدو ضرورة التنظيم التشريعى والبحوث المتعمقة فى هذا المجال .

كذلك القول فى المادة ٤٧ بان النقد الذاتى والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطنى يجب ترجمته ترجمة تربوية تعليمية لها قيمتها فى كيان الفرد والمجتمع وهكذا نرى فى كل مادة من مواد الدستور ما ينعكس فى التعليم ليكون له دوره فيه فى المرحلة المناسبة وهى فى مجموعها مبادىء عامة تحتاج الى نظر وامعان وتدقيق وتحليل حتى تخرج من العمومية الى الخصوصية .

وقد ظهرت بعد الدستور ( ١٩٧١ ) ورقة اكتوبر ( ١٩٧٣ ) وهناك فى الواقع اتساق كامل بين المبادىء التى تنطوى عليها الوثيقتان .. وواضح ان ورقة اكتوبر بطبيعة مصدرها وغاياتها لا تتوغل فى التفصيلات وانما تناقش المبادىء العامة .

وتنص ورقة اكتوبر فى تلخيصها لمهام المرحلة الجديدة على الاتجاهات الاتية :

١ ) التنمية الاقتصادية بمعدلات تفوق ما حققته مصر حتى الان .
٢ ) الاعداد لمصر عام ٢٠٠٠ حتى توفر أسباب التقدم للاجيال المقبلة .
٣ ) الانفتاح الاقتصادى فى الداخل والخارج بما يوفر كل الضمانات للاحوال التى تستثمر فى التنمية .

٤) التخطيط الشامل والفعال الذى يكفل بالعلم تحقيق الاهداف العظيمة للمجتمع .

٥) دعم القطاع العام وترشيده وانطلاقه تمكينا له من قيادة المتقدمة .

٦) التنمية الاجتماعية وبناء الانسان .

٧) دخول عصر العلم والتكنولوجيا .

٨) التقدم الحضارى القائم على العلم والايمان .

٩) المجتمع المفتوح الذى ينعم برياح الحرية .

١٠) المجتمع الآمن الذى يطمئن فيه المواطن على يومه وغده .

وتنص ورقة اكتوبر كذلك ( ص ٤٤ ) على أنه ان الاوان للبدء جديا فى القيام بثورة شاملة فى نظم ومفاهيم التعليم والتثقيف العام بكل انواعه ومستوياته بدءا من محو الامية الى التعليم العام والفنى والجامعى الى البحث العلمى والتكنولوجى ومعنى هذا واضح وهو ان الدولة غير راضية عما يجرى فى عمليات التعليم والتثقيف وهى تدعو الى الثورة والى التناول الحازم الجاد .

وتنص الورقة فوق هذا ( ص ٤٥ ) على ان التعليم لم يعد مسالة مقررات دراسية جامدة تقف بمهمة التعليم عند استيعاب الطالب لها ولكن أصبح التعليم مرتبطا ارتباطا عضويا بحركة المجتمع ومتطلباته وعلى أن معنى ذلك ان التعليم والتثقيف العام صار لهما هدفان متلازمان :

الاول : هو ايجاد الفرد المتعلم المستنير بحيث يكون اكثر فهما واتساقا مع مجتمعه وعصره وأكثر قدرة على استيعاب المعرفة الانسانية والاستمتاع بها ( واستخدامها ) واكثر تفهما للقضايا العامة فى بلاده وفى محيطه وبيئته التى يعيش فيها .

والثانى : وهو تزويده بخبرة متقدمة محددة تمكنه من القيـــام بالدور الذى يتناسب مع هذه الخبرة فى شتى مواقع العمل والانتاج فى بلاده .

ويستلزم تحقيق هذه الغاية عدة امور منها عـدم ( صب التعليم فى قوالب جامدة بل العمل على تنويعها قدر الامكان حتى تلبى شتى انواع الخبرات والتخصصات والمهارات المطلوبة فى عملية التنمية التى تنهض بها على جبهة عريضة ومنها ربط التعليم بالبيئة ســـواء اكانت الريف او الحضر فى الحقل أو المصنع وبذلك لا نعانى من مشـــكلة الارتداد الى الامية أو من هجرة المتعلم من بيئته ) .

كذلك تنص الورقة على ضرورة القضاء على فكرة الفارق الاجتماعى بين تعليم وتعليم « كما نجده بين التعليم الفنى والتعليم العـــام وبين تخصصات وتخصصات » اذ يجب ان تكون هناك فرص متكافئة أمام النشىء فى كل المراحل ولا يجوز ان يميز بين مسار تعليمى ومسار تعليمى آخر الا ميل الشخص للمتابعة وقدرته عليها .

تشير الورقة كذلك الى ضرورة الاخذ بالتعلم المستمر ( ص ٤٦ ) بقصد التجدد الذاتى الذى يقضى به عصر التغير الســـريع المتزايد فى سرعة تغيره وتنص الورقة على ايجاد مراكز الاطلاع والتعليم وتحديثها واقامة برامج التدريب المستمر على كافة مستوياتها واستخدام وســـائل التثقيف العامة والارتقاء بمستوى ما يقدم من علم ومعرفة لكل طالب علم وطالب معرفة ونؤكد ان التعليم المستمر لكى يكون ناجحا يقوم على مبدأ التعلم الذاتى او تعليم المرء كيف يعلم نفسه .

وتضيف الورقة ( ص ٤٧ ) ضرورة الاهتمام بالبحث العلمى وتعتبره استثمارا هاما يساعد على التنمية ويضمن استمرارها وتصاعد معدلاتها

ولكنه كاى استثمار يجب ان يتغلوله الترشيد كما تضيف ان هـــذا كله يستهدف فى النهاية تنمية قدرات الانسان المصرى تنمية اجتماعية وثقافية وعلمية ترفع من قيمته ومن قيمة ما يمكن ان يقدمه لبلاده من عمل .

ولاشك ان ادخال العلم والتكنولوجيا والبحث العلمى بصـــورة تضمن نمو هذه الجوانب وازدهارها يحتاج الى خلفية صــــالحة ومناخ صالح وشعوب متفهمة اقل ما تتصف به هو الوعى باهمية هذه الجوانب واهمية استخدامها والافادة منها ولهذا دأبت الشعوب المتطلعة للتقــدم الى تقديم البرامج العلمية والتكنولوجية الى كل المواطنين بوسائل التثقيف والتدريب المختلفة بهدف ايجاد العقلية العلمية التكنولوجية العامة التى تزدهر من خلالها الوان التقدم العلمى والتكنولوجى بصورة تخدم التنمية والتحديث .

ثالثا : أهداف الفرد واهداف المجتمع من التعليم :

يمكن الخروج مما عالجته الصفحات الماضية بأن اهــداف المجتمع من التعليم تنتظم فى العادة اهداف الافراد ، فمن اهــداف المجتمع على سبيل المثال رفع مستوى المعيشة ولايكون ذلك الا بدفع عجلة التنميـــة وزيادة القدرة الانتاجية وآستنباط الموارد البشرية والموارد الطبيعيـــة واحداث التزاوج التام بينهما كما أنه لا يكون الا بالربط الوثيق بين العلم والعمل وبأن يكون العمل هو ركيزة التعلم فلا يكون هنـــاك فاصل بين العلم والعمل فكلاهما يغذى الآخر ويتغـــذى منه فى علاقـــه عضـــوية متكاملة ولذا كان الافراد يهدفون الى تنمية انفسهم ورفع مستوى حياتهم فان المجتمع يهدف كذلك الى نفس الغاية ولذا وجب ادراك ان واحـــــد منهما بدون الآخر لا يكون وهذا ما تقصد اليه عبارة ان اهــداف المجتمع من التعليم تنتظم اهداف الافراد منه .

وما قيل عن رفع مستوى المعيشة كهدف وما يقتضـــيه من تربية

انتاجية وتربية تعاونية وتربية صحية وتربية سكنية وتربية اجتماعية وتربية اقتصادية وتربية وطنية وتربية دينية - وغير ذلك يقال عن تحقيق العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص امام المواطنين والتعليم له دوره فى تحقيق العدالة وتحقيق التكافؤ وخفض الفوارق بين الطبقات كهدف من أهدافه وكمجال من مجالاته .

ويمكن ان يقال بصفة عامة أن أهداف المجتمع واهداف الفرد واحدة وهى :

١ - الارتفاع بمستوى المعيشة العامة للمواطنين وذلك برفع القدرة الانتاجية وزيادة الوعى الصحى والرياضى والعلمى والتكنولوجى والسكانى وبترسيخ العمل كركيزة للتعلم وبالتركيز على التربية التعاونية واستنباط الثروة المادية والثروة البشرية وربطهما معا . وغير ذلك

٢ - التنمية والارتفاع بمستوى الانتاج ويدخل فى ذلك الانتاج الفكرى والمادى مع الاصالة والاستقلالية دون انعزالية ومع تفاعل كامل مع المجتمعات الاخرى دون تقوقع ودون ارتماء فى احضان الغير .

٣ - اقرار الحياة الديمقراطية بجوانبها السياسية والاجتماعية حيث يقوم التوازن بين اتجاهات المجتمع واتجاهات الافراد مع الوفاء بالحاجات الاساسية للجميع وتحقق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص للجميع حتى يفيدوا ويستفيدوا وحتى يسهموا لخير المجموع شاعرين بذلك انهم أدوا واجبهم ونالوا حقهم وانهم يعملون متماسكين فى وحدة وطنية شاملة .

٤ - تحقيق الكرامة والاعتزاز عند المجتمع وعند الافراد ويقصد بهذا ان يشعر الفرد بقيمته وكرامته وبقوته فى انتمائه لمجتمعه وهنا لابد من الاشارة الى قيمة المجتمع وانعكاسها على قيم الافراد

والعكس صحيح فاذا تحققت للفرد قيمته تحققت للمجتمع قيمته كذلك لأن الافراد يتفانون فى خدمة المجتمع ودعمه ودفعه اذا شعروا بتحقيق قيمتهم من خلاله ٠

وهذه مسألة شأنها كشأن المسائل الأخرى يمكن ترجمتها فى كل مراحل التعليم الى برامج ووسائل وطرق وتطبيقات ٠

٥ - والهدف الخامس ان يتحقق الامن والشعور بالطمأنينة للمجتمع وللافراد ولا يتحقق الهدف الخامس الا اذا قام النظام بتوفير الظروف الصالحة لتحقق الحاجات الاساسية من حرية وكرامة وعمل وعدالة وتحقق للحاجات البدنية والنفسية الاساسية اللازمة لسير الحياة سيرا طبيعيا ويستمتع معه الفرد بمقوماتها الأساسية ٠

وواضح ان الفرد يحتاج الى كسب المعارف والمهارات والعادات والاتجاهات اللازمة لتسيير شئونه وللتلاؤم مع الحياة فى المجتمع الذى ينتمى اليه ويعيش فيه ٠

ومن هنا كانت الاهداف المشار اليها فردية كانت أو اجتماعية مما يمكن الاسترشاد به فى نظم التعليم بمراحله وانواعه وصيغه المختلفة وهناك صيغ متعددة لتقسيم حياة الناس من الوجهة النفسية والبدنية الى مراحل وقد تعددت الدراسات فى هذا المجال وتشعبت غير اننا سنكتفى فى السياق الحالى بالرأى على انه يمكن تقسيم النمو الانسانى الى مراحل طول كل منها ٦ سنوات على وجه التقريب وهذه هى :

من الميلاد حتى السادسة
من السادسة حتى الثانية عشرة
من الثانية عشرة حتى الثامنة عشرة

من الثامنة عشرة حتى الرابعة والعشرين

ويمكن تقسيم كل مرحلة الى حلقتين أولاهما يغلب عليهـــا كسب المهارات ومعارف واتجاهات وعادات وثانيتها يغلب عليها اتقـــان لهذه المهارات وتلك المعارف والاتجاهات والعادات هذا مع العلم بأن الفصل المحدد غير ممكن فالكسب عملية مستمرة وكذلك الاتقان عملية مستمرة. ثم ان الكسب والاتقان عمليتان متداخلتان ولكن اشارتنا للصفات الغالبة

رابعا : السنوات الست الأولى والست التى تليها :

ففى السنوات الثلاث الاولى تنمو عنده ادوات الحس من ســـمع واصغاء ورؤية وابصار وشم وذوق ولمس وادوات الحركة من قبض وقذف وانتقال ومشى وتسلق وكلام وعض وابتلاع وانفطام .. فبعد ان اســـتقل الطفل عن جسم أمه بالولادة يبدأ يوسع دائرة نفوذه واتصاله ومجالات حياته بالمشى والجرى والنداء .. وغير ذلك .

وبذلك تكون السنوات الثلاث الاولى سنوات يغلب عليهـــا كسبه لمهارات ومعارف ومفاهيم وعادات وتكون السنوات الثلاث التالية لهـــا سنوات يغلب عليها الاتقان فيصبح فى سن السادسة شخصا له كيانه وله شخصيته كثير الحركة كثير الكلام يتصل بما حوله وبمن حوله ويستخدم فى ذلك ما اكتسب من قدرات ومهارات . وحين يستخدمها يكتسب بهـــا قدرات ومهارات أخرى - وهذا هو النمو . ولهذا يجب ان يحاط الطفـــل بالعطف والرعاية ولكن يجب الا يزيد العطف والا تزيد الحماية عمـــا يحتاجه الطفل لتحقق الشعور بالامن فيما حوله ومن حوله وتحـــقق الشعور بالثقة بالذات تبعا لذلك . وبذلك ينشأ الطفل منذ البداية آمنـــا مطمئنا واثقا من نفسه منطلقا فى جو من الرعاية والتوجيه مـــع التفقد من بعد كاف لتحقق الثقة والانطلاق .

وهذه تحتاج منا الى برامج لتوجيه الآباء والامهات ولاعدادهم لتربية الابناء فى السنوات الاولى من العمر تربية تتوافر فيها الثقة والامن والاستقلالية . ولهذه البرامج صيغ مختلفة تتم داخل المدارس وخارجها بصور جماعية وفردية ووسائل وانماط متعددة .. كل هذا بسياسة وتخطيط .

ونؤكد هنا ضرورة اعادة النظر فى برامج الاطفال مما يذاع بوسائل الاعلام ولابد من برامج للآباء والامهات والاطفال تبنى على اسس علمية سليمة معترف بها اما الارتجال فى هذا المجال فضرره اكثر من نفعه .

وفى الاعمال اليدوية والبدنية الاولية التى يحتاجها الانسان فى العصر الحاضر فى حياته اليومية العادية والتى اذا تفوق فيها فتحت له ابواب الاستزادة وربما فتحت له أبواب المهنة وكسب الرزق وما يصحب هذا من مكان فى المجتمع . وفوق هذا وذاك فان هذا مجال طيب للابتكار والاختراع والابداع الفنى قد تتكون نواته بصورة واضحة هذه المرحلة اذا هىء لها المناخ المناسب بمكاناته المادية والبشرية .

يمكن ان يتعلم التلميذ فى هذه المرحلة عن حياته الصحية ومكوناتها وشروطها وان يتعلم عن حياة الاسرة وحياة المدرسة وحياة الجماعة وحياة الاعمال المحيطة الموجودة فى البيئة وان يتعلم كذلك عن حياة المجتمع الاكبر وما فيه من ادوار يقوم بها اهل التجارة والصناعة والزراعة والصيد والقنص وما فيه من ادوار لخدمة المجتمع فى مجالات الصحة والماكل والمشرب والمسكن والملبس والامن والتعليم والتنقل والاتصال . ومن خلال الممارسة ومشاهدة المؤسسات ومشاهدة الصور والافلام ومن خلال القراءةوالكتابة والمشاهدات والرسم والتصوير والتعليق والتحليل والنقد يمكن ان تنمو قدرة التلميذ على القراءة والكتابة والاستماع والتحدث والحساب والقياس والربط بين

الاسباب والنتائج وفهم ذاته ومن يتعامل معهم وما يحيط به .

كذلك يمكن ان يفهم الناشىء ما يجرى حوله من ظواهر اجتماعية وطبيعية وصناعية ومائية وكهربائية وميكانيكية فى حدود مقدرته وتكون هذه وثيقة الصلة بمقدراته العلمية والبدنية وبذلك يتكون الناشىء تكونا وتكاملا من النواحى العقلية والوجدانية والسلوكية كل هذا من النواحى اليدوية والبدنية والاجتماعية وكذلك من النواحى الروحية مما يهيئـــة ليكون عضوا نافعا فى المجتمع ومما يضعه على أول طريق المواطنـــــة الصالحة بجوانبها العملية والسياسية والاجتماعية .

غير ان هناك صفات اساسية لابد ان نؤكدها وان نهدف اليهـــا عند تخطيط البرامج فمن هذه الصفات ان اعلم التلميذ فى هـذه المرحلة كيف يعلم نفسه وهذه مسألة أساسية لبناء الشخصية الايجابية عنـــد المواطن ولتزويد الشخصية بما يساعدها على بناء ذاتها وعلى دفع ذاتها نحو التقدم . وبهذا نتخلص من جزء كبير من العمليـة التلقينيه التى تستلزم عادة وجود شخصين على الاقل احدهما يعلم والثانى يتعـــلم وتستلزم مكانا للالتقاء فالوصول الى فكرة التعلم الذاتى وتغليب فكرة التعلم على اساس استراتيجية صالحة لحل معضلة التعلم عنـد الجماهير الكبيرة وما نحتاجه من معلمين وأدوات واماكن ويتطلب هـذا أيضـا تغييرات جذرية فى اعداد المعلم قبل الخدمة وفى اثناءها كمـا تتطلب تغييرات جذرية فى تهيئه المؤسسات التعليمية اذ نريد أن نحـــــول مدارس التعليم الى مراكز للتعلم . ويتغير بذلك تماما شكل الفصـــول الدراسية وهى فى الوقت الحاضر اماكن للاستماع الى ما يلقى والاطلاع على ما يكتب فتصبح أماكن للعمل والتجريب والمشاهدة والسعى والبحث فيتدرب التلميذ على البحث عن طريقة او البحث عن معنى كلمة او عبارة أو قراءة خريطة او قراءة نص أو الكشف عن قاعدة .

وليس معنى ذلك اننا سنلغى التلقين والتخطيط بصورة نهائية ولكن نقلله الى حدوده الدنيا ولن تكون المسألة كلها تعلما فهناك على الاقل تعليم التعلم فهناك اختزال للجهد الظاهر من المعلم وتضخيم (أو تكبير) لجهد التلميذ ولهذا المسلك نتيجتان هامتان احداهما الاستقلالية والايجابية وثانيتهما اغتباط المرء بنفسه ورضاؤه عنها لان ما يضيفه الى تكوينه يرجع الفضل فيه اليه هو لا الى غيره . قال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى .

بهذا كله ينمو الناشىء ويتهيأ لنمو اكبر واكثر ولابد ان يكون قد تحقق له على الاقل ما يأتى :

١ - ان يكون قد تكونت لديه عادات الصحة والرياضه والنظافة والنشاط والعمل والانشغال واتجاهاتها ومثلها وان يكون قد الم بطرق المحافظة على الصحة الخاصة والعامة .

٢ - ان يكون قد اتقن القراءة والكتابة والفهم والاداء الشفوى للغة العربية بصورة سليمة وان يتمكن من قراءة ما تحتويه جريدة يومية من اخبار محلية وان يفهم ما فيها ويعلق عليه وان يتمكن من ان يكتب حديثا او قصة ويرويها بلغة عربية صحيحة تركيبا وهجاء وان يستعمل قدراته هذه لفهم نفسه وفهم ما حوله ومن حوله وأن يستخدمها ادوات للنمو من كل جوانبه الدينية والنفسيه والاجتماعية والروحيه كل هذا بالطبع فى حدود مقدرات الناشىء .

٣ - ان يعرف ما يجرى حوله من ظواهر اجتماعية وطبيعية وسياسية واقتصادية فى مبادئها الاولية وعلى أسس واقعية وان يكون قادرا على فهمها وتفسيرها والتداول معها لفائدته وفائدة من معه كل هذا فى حدود مقدرته .

٤ - ان يكون قد تكونت لديه القدرة على الاخذ والعطاء مع الغير والقدرة

على التعامل المبنى على الحق والعدل واحترام الغير واحترام الذات

٥ - ان يكون له كيانه الايجابى المستقل وان يكون متعاونا قادرا على العمل فى فريق وان يشعر بالانتماء للمجتمع الذى يعمل معه ويعيش فيه ٠

٦ - ان يتكون لديه الامن والشعور بالطمانينه والثقة فى نفسه وفيمن حوله وان يستمتع بحياته وبعلاقاته مع غيره وان يتصف بالجديه فى غير تزمت وبالمرح والسرور فى غير ميوعه واستخفاف ٠

٧ - ان يكتسب المهارات الاولية فى استخدام الادوات والالات الشـــائعة الاستعمال وان يتكون عنده الاتجـــاه العلمى الواقعى على نحـــو ما يعرض له فى حياته اليومية من مشكلات ٠

٨ - ان يعرف اساسيات دينه معرفة جيدة مبصره مع تركيز العنـــاية على المعانى المفهومة له وربطها بمواقف الحياة فى البيئة مع تاكيد المعاملات من الناحية العلمية تاكيدا على الحق والعدل والامانه ومع ترشـــيد العقائد وتكوين عادات العبادات ومع تعرف آيات الله والاية والتميز بين ما يمكن تفسيره على أساس من العلم والحس وما لا يمكن قبوله الا على الاساس الايمان مما لا يجترىء العلم على تفسيره ٠

٩ - ان يكون قد أتقن التعامل مع الاساســـيات فى الارقام والمقاييس والموازين والمكاييل والنقود المعايير الدارجه والمسافات والمساحات والاشكال والاجسام فى مختلف صيغها ٠

١٠ - ان يكون قادرا على تذوق قدر من الجمال فى صيغه وأشكاله والوانه المختلفة سمعيه كانت أو بصريه أو لغويه أو تعاملية وصولا الى تذوق للسياق فى أى صورة من صوره والى الاستمتاع بالحياة بجوانبهـــا النامية ٠

ويلاحظ انه لايجوز ان تقوم فجوة بين مسار الحياة ( من صفر - ٦ ) ومسارها من ( ٦ - ١٢ ) فهو مسار طبيعى سلسى متصل فلايجواز أن نسمح للطفل فى السنوات الست الاولى باللعب والكشف بواسطة الايدى وبواسطة اجزاء الجسم المختلفة ثم نحرمه كل هذا فى سن السادسة عند ما يبدأ حياة المدرسة وحياة المدرسة فى صورتها الحاليـــة فى حاجة الى تغيير جوهرى حتى تتحقق النقاط العشر التى سبق أيرادها فى هذه الورقة وجملة القول أن المرحلتين اللتين سبق التحدث عنهما هما مرحلتان فى غاية الاهميـــة يتشكل فى أولاهما النمط العام لشخصية الناشىء وتتشكل فى ثانيتهما اساسيات العلاقة العملية المتفهمة المبصرة بين النـــــاشىء وبين الحياة بجوانبها المختلفة أى بين الناشىء وبين نفسه وبينه وبين ربه وبينه وبين وطنه وبينـــه وبين من يتعامل معهم فى اسـرته وفى مجتمعه مستخدما فى ذلك أدوات الاتصال ورموزها وصيغها المعروفة .

**سادسا المرحلة من ( ١٢ - ١٨ )**

عندما يصل الطفل الى نهاية المرحلة الابتدائية يكون على مشارف مرحلة جديدة وهى مرحلة المراهقة التى ينتقل فيها الفرد تدريجيا وعلى مدى بضع سنوات من مرحلة الطفولة الى مرحلة النضـــج ومـرحلة الاضطلاع بدور الكبار فى المجتمع ومعروف ان الاطفال كلما تقدمت بهم السن تظهر لديهم خصائص يتميز فيها الواحد عن الآخر فنجد واحـــدا اميل الى الاعمـــال العملية البدنية من الآخر ونجد من هو اميـل فى مجموعه الى الاعمال اليدوية وثالثا اميل فى مجموعه الى الاعمـــال العقلية ونجد واحدا اميل الى الاجتماعية وآخر اميل الى الانفرادية .. وهكذا .

يخرج الاطفال مراهقين أو قريبين من المراهقة من المدرســـة الابتدائية ويجب أن يكون الطفل اذ ذاك قد حصل ما فى البنود العشـرة

السابقة غير انه لا يكون فى العادة متشكلا تماما او مستعدا للاطلاع بعمل او بمسئولية فهو مازال فى حاجة الى مزيد من التشكل ومن التعلم وفى حاجة الى زيادة اتقان ما كسبه من مهارات وقدرات بدنية ويدوية وعقلية واجتماعية مختلفة ومازال فى حاجة الى تجريب نفسه فى مجالات مختلفة ليحدد اتجاهاته واستعداداته وليستبقى بعضها ويترك بعضها الآخر .

ولذا يجب ان يكون فى النصف الاول من المرحلة الحالية مجالات متنوعة للنشاط البدنى واليدوى والعقلى والاجتماعى حتى يتمكن كل من المعلم والمتعلم والوالد ان يحدد منها اتجاهات الميول والاستعدادات عند الناشىء فهذه هى دليلنا فى توجيه الناشىء وتدريبه واعداده للتهيؤ لمستقبل حياته .

ولاشك ان النصف الاول من هذه المرحلة يمثل من الناحية البدنية مرحلة حرجة مليئة بالتغيرات الجسمية الظاهرية والباطنية ويصاحب هذه التغيرات تغيرات نفسية معها درجة من القلق تختلف من فرد الى فرد ويصاحبها كذلك تفتح نفسى ونمو عقلى متعدد الجوانب . وهنا لزم ان يدرس المراهق بعض الحقائق المبسطة عن النمو الفسيولوجى والتشريحى والنفسى والاسس الصحيحة العامة التى ترتبط بهذه النواحى ولزم كذلك ان تكون هناك عناية بالرياضة البدنية فى صورها ومراتبها المختلفة ويمكن ان يكون مجال الرياضة مجالا للتربية الصحية عامة ومجالا للتربية الاجتماعية والتعاونية . ومعنى ذلك ان تهدف المناهج العلمية والرياضية بصورة عامة الى التربية الصحية والعلمية والاجتماعية وتكوين ملكات النشاط الايجابى والذوق .

- ويمكن فى السنوات الثلاث الاولى ( ١٢ - ١٥ ) استكمال اتقان ما كسبه الناشىء من المراحل السابقة فيتقن القراءة والكتابة والحساب

في مستويات اعلى واكثر اتقانا واعمق فهما وتذوقا وفي الوقت نفسه نساعد المراهق في عبور هذه السنوات - سنوات المراهقة واول البلوغ - بسلام ولابد ان يكون في المدرسة مجالات مختلفة من فن تشكيلي وتمثيل وموسيقى ورياضة وعلوم علمية واجتماعية ورياضية ولغات قومية واجنبية واعمال عملية كالنجارة والزراعة والطباعة وغير ذلك بحسب ما يتوافر في البيئة من اعمال وانشطة ويتعرض التلميذ للدراسات والانشطة في نظام توجيهي واختياري رفيق تتضح فيه الميول والاستعدادات وتتشكل ويمكن ان تكون هذه المرحلة استكمالا لما قبلها فتصبح مرحلة منتهية ويمكن ان تكون مقدمة لما يتلوها فيكتشف التلميذ والوالد اتجاه الناشىء نحو امور عملية او امور علمية او امور ادبية او امور لغوية او امور دينية وتكون في البيئتين مراكز التعلم ومراكز التدريب ما يمكن ان يتجه الناشىء فيه الى واحد أو أكثر من هذه المجالات وغيرها .

ونظرا لتنوع الميول والاتجاهات ولبدء ظهور القدرات الخاصة والاستعدادات المتميزة في هذه المرحلة من العمر فانه يلزم الامعان في تنويع مجالات التعلم والتدريب والامعان في مرونة النظم التعليمية بحيث يتمكن الناشىء من التجريب ومن الكشف ومن كسب المهارات العقلية او اليدوية او البدنية بمختلف مستوياتها وصورها وبذلك يمكن ان تتفرغ جموع النشىء الى جماعات فهؤلاء ينمون انفسهم مهنيا او فنيا مع التثقف وهؤلاء يتعمقون علميا او لغويا او رياضيا مع التزود بمقدرات عملية وتكنولوجية فتكون هناك مراكز التدرب ومراكز التعلم ويمكن الطالب الواحد ان ينتمي الى مركز او اكثر بحسب متطلباته وتتحدد هذه المتطلبات بحسب ما ينشده الناشىء في المستقبل وبحسب الانشطة المتوافرة المتاحة في البيئة .

ونؤكد هنا ايضا ضرورة التوكيد على ان نعلم الفرد كيف يعلم نفسه وكيف يستغل الادوات والرموز التى كسبها فى زيادة التعلم وزيادة التدرب فاذا كان كل جهاز مصحوبا بتعليمات استخدامه وصيانته واصلاحه على ان تكون هذه التعليمات واضحة واذا كان كل شخص مدربا على قراءتها وتنفيذها والاعتماد على نفسه فى ذلك فان هذه تكون مثالا لمنهج يستخدم به الانسان قدرته اللغوية والمتاح من المعلومات استخداما يؤدى الى التنمية والى نوع من بناء الانسان . فلنستمر اذن فى سياسة ان نعلم الانسان كيف يعلم نفسه وان نعلمه كيف يشغل نفسه ولنستمر فى تعميق فهمه لما يحيط به من مظاهر وموارد وتعميق قدرته على استخدام الادوات اليدوية والبدنية واللغوية ونستمر فى تعميق مشاعره الدينية وتعميق مشاعره نحو اسرته وعمله وبلده وتعميق مشاعره نحو حقوقه وواجباته ومسئولياته ودوره فى المجتمع الذى يتعامل معه وينتمى اليه .

فى هذه السن يمكن ان يتهيأ الناشىء لاعداد نفسه بخلفيته التى التى كسبها فى السنوات التسع ( او الثمان ) الماضية ويمكن ان يتهيأ للتعمق فى التدرب وصولا الى الاضطلاع بمهنة يكسب منها عيشه فى المستقبل ويمكنه كذلك اذا اراد ورغب ان يستمر فى التعلم بحسب ما تسمح له استعداداته اذا كانت المهنة التى يصبو اليها ويصلح لها فى حاجة الى مدة اطول والى دربة من نوع اقل بساطة فالتعليم حق لكل انسان بقدر ما تتحمله وتستجيب له ملكاته .

أى ان السنوات التسع الاولى يمكن ان تكون الحد الادنى لتعليم اساسى « وليس معنى هذا ان تصبح مرحلة واحدة فى مبنى واحد » والواقع ان الهدف فى السنوات التسع او الثمان الاولى يكون كسب الدارسين للمعارف الاساسية والمهارات العملية والفنية التى لاغنى عنها

لاى مواطن . فوظيفة التعليم فى السنوات التسع او الثمانى الاولى ان يتزود المواطن بالقدر الضرورى من المعلوملت والمهارات والخبرات والاتجاهات - والعادات ومناهج العمل والتفكير فى المجالات الثقافية والاجتماعية والعملية والتكنولوجية لكى يتكامل تكوينه فى البعدين الفكرى والعلمى التطبيقى بحيث يستطيع الاندماج النشيط فى مجالات الانتاج والخدمات ومجالات التنمية بصفة عامة . ومعنى هذا ان يكون لديه الاسس التى تجعل منه مواطنا صالحا .

هذه هى الاسس العامة التى تقوم عليها المناهج والطرق فى السنوات الثمان او التسع الاولى من التعليم .

**سابعا : المرحلة من ( ١٥ - ١٨ ) :**

ومعنى هذا ان الطلاب بعد انهائهم المرحلة الاولى من التعليم التالى للمرحلة الابتدائية لا يجوز ان يتدفقوا جميعا الى التعليم الثانوى العام اذ يجب ان تكون هناك مجالات متنوعة متعددة يختار منها التلميذ ما يميل اليه وما يقدر عليه وما يحقق له ما يرغب فيه فى المستقبل ويجب ان تكون فرص التعليم او فرص التعليم او فرص العمل المتاحة امام من يمتلكون المهارات والقدرات اللازمة لهذه المجالات فرصا كافية عددا ومكانة وانتاجا ومردودا .

فيجوز للناشىء بعد انهاء المرحلة ( ١٢ - ١٥ ) ان يبدأ بالتركيز على اتجاه عملى كالنجارة او الكهرباء او الميكانيكا او الزراعة او التجارة أو يبدأ بالتركيز على اتجاه علمى او رياضى او اجتماعى او ادبى او لغوى او فنى او غير ذلك ويجوز ان يتحدد اتجاهه حسب امكاناته البدنية واليدوية والنفسية وحسب الفحص .

واذا كانت المرحلة من ١٢ - ١٥ مرحلة انتقالية والمرحلة من

١٥ - ١٨ مرحلة بها نوع من الاستقرار يتدرج الى استقرار اكثر واكثر وهنا يتطلع الفرد الى ان يكون مواطنا له دوره وله عمله وله مهنته وان تكون له فى يوم من الايام اسرته وكيانه المستقل اقتصاديا واجتماعيا ونجد الناشىء فى هذه السن يميل الى التعمق فى اسرار الكون وفى سنن الله الكونية وفى الاتصال لمعرفة اجزاء العالم وارتياده ونجده متحمسا للاصلاح والتطوير وتبدأ تتضح ميوله واتجاهاته الخاصة ويهتم اذ ذاك - بالمسائل الدينية والعملية والمثل العليا ويريد ان يمتد فى أبعاد الزمان الى الماضى السحيق والمستقبل ويمتد فى ابعاد المكان الى الكون وابعاده ولا نهائياته لكل هذا وجبت رعاية الناشىء حتى لا تكون الفجوة كبيرة بين آماله وتوقعاته من جانب وبين امكاناته من جانب آخر . ووجبت رعايته بحيث يستقل استقلالا متزنا .

وطبيعى ان تكثر المشكلات فى هذه المرحلة وفى سابقتها فى فترة نمو وتغير ويحتاج الناشىء فيها الى كثير من التلاؤم والتكيف وكثير من التوجيه الصحى والمهنى والاجتماعى وحيث ان الناشىء يقترب تدريجيا من الفترة التى يحدد فيها مهنته ومستقبله الاسرى والاقتصادى والمهنى والاجتماعى فيجب ان يكون فى مراكز التعلم والتدرب بصورها المختلفة وفى مجالات التعليم والاعلام وما يعاون الناشىء فى تحديد مستقبله ونعلم ان مشكلة المشكلات امام الشباب هذه الايام هى عدم وضوح المستقبل وعدم تحدده .

**ثامنا : الاتجاه نحو مرحلة الرشد :**

وبعد ان يكمل الناشىء ما يقرب من العشرين عاما يكون قد كون او بدأ يكون لنفسه اتجاهات وعادات ومهارات ومفاهيم ومعايير واضحة نحو نفسه ونحو أسرته ونحو عمله ونحو المجتمع الذى يعيش فيه وينتمى اليه . ولا تكون بالطبع مشكلاته قد انقشعت فمشكلات

الانسان تتجدد مع تجدد مواقف الحياة فتصـــادفه مشـــكلات الزواج والعمل والمواطنة والمرافقه والمزاملة وتصادفه مشكلات من الوان اقتصادية واجتماعية وسياسية وعقائدية ويمر فى الثلاثينات بمشكلات الانجـــابه واعالة الاولاد وتعليمهم وهكذا ويعالج الفرد مشكلاته متأثرا فى ذلك كله ببنيته النفسية وهى حصيلة تنشئة كان اهم جوانبها فى الســنوات الاولى من الحياة ولهذا يختلف الناس امام المشكلات التى تبدو كأنها من نوع واحد ودرجة واحدة .

ولكن الطبيعى على وجه العموم ان تكون هذه المرحلة هى مرحلة العمل ومرحلة تشكل الكيان المهنى والاقتصادى والسياسى والاجتمـــاعى للفرد وهى مرحلة التعمق الرأسى والتوسع الافقى فى مجالات التخصص ولا يعقل ان يكون فيها تعلم واحد مشترك للجميع فلابد من التفـــريع والتنويع والتغيير .

ويدخلنا هذا فى مجالات التعليم العالى وما بعده ولا يجوز دخوله أو دخول غيره الا للقادرين عليه أما فتح الابواب كلها على مصـــاريعها لكل راغب فانها ليست تطبيقا لعدالة او لتكـــافؤ فرص وقد نتـــج عن سياسة فتح الابواب فتحاتاما ان ظهر فى المجتمع حملة لمؤهـــلات دون ان يكونوا فى الواقع مؤهلين لحملها مما ادى الى اختـلال فى التوازن . ويدخلنا هذا الموضوع فى مجالات التعلم المســتمر والتعليم الذاتى وفى التناوب بين التعليم والعمل وفى امكان الجمع بينهما كما يدخلنا فى مجالات التعلم التوقعى والتعلم التشاركى والمجتمع المتعلم والمعلم وغير ذلك من المفاهيم الجديدة مما اقتضاه التغير .

## خـــــاتمه

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا . ربنا لا تحمل علينا إصـرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعفه عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

صدق الله العظيم

● ● ●

## للمؤلف

(١) أسس الصحة النفسية — الناشر : النهضة المصرية

(٢) علم النفس أسسه وتطبيقاته — الناشر : النهضة المصرية

(٣) مشكلات وصور نفسية — الناشر : دار المعـــارف

(٤) اللغه والفكر مع آخـرين — مطبوعات كلية التربيـة

(٥) The Visual Perception of Space Cambridge University .

(٦) تيســير النحو — مع آخرين

(٧) الاحصاء فى التربية وعلم النفس

(٨) تطوير التعليم فى الدول العربية

الناشر النهضة المصرية
المنظمة العربية

● رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٥/٣٧٢٧
● الترقيم الدولى / ٣ ـ ٦ ـ ١٤١٥ ـ ٩٧٧

دار الشباب للطباعة
١٥ شارع العباسية
ت ٨٣٩٧٣٠

